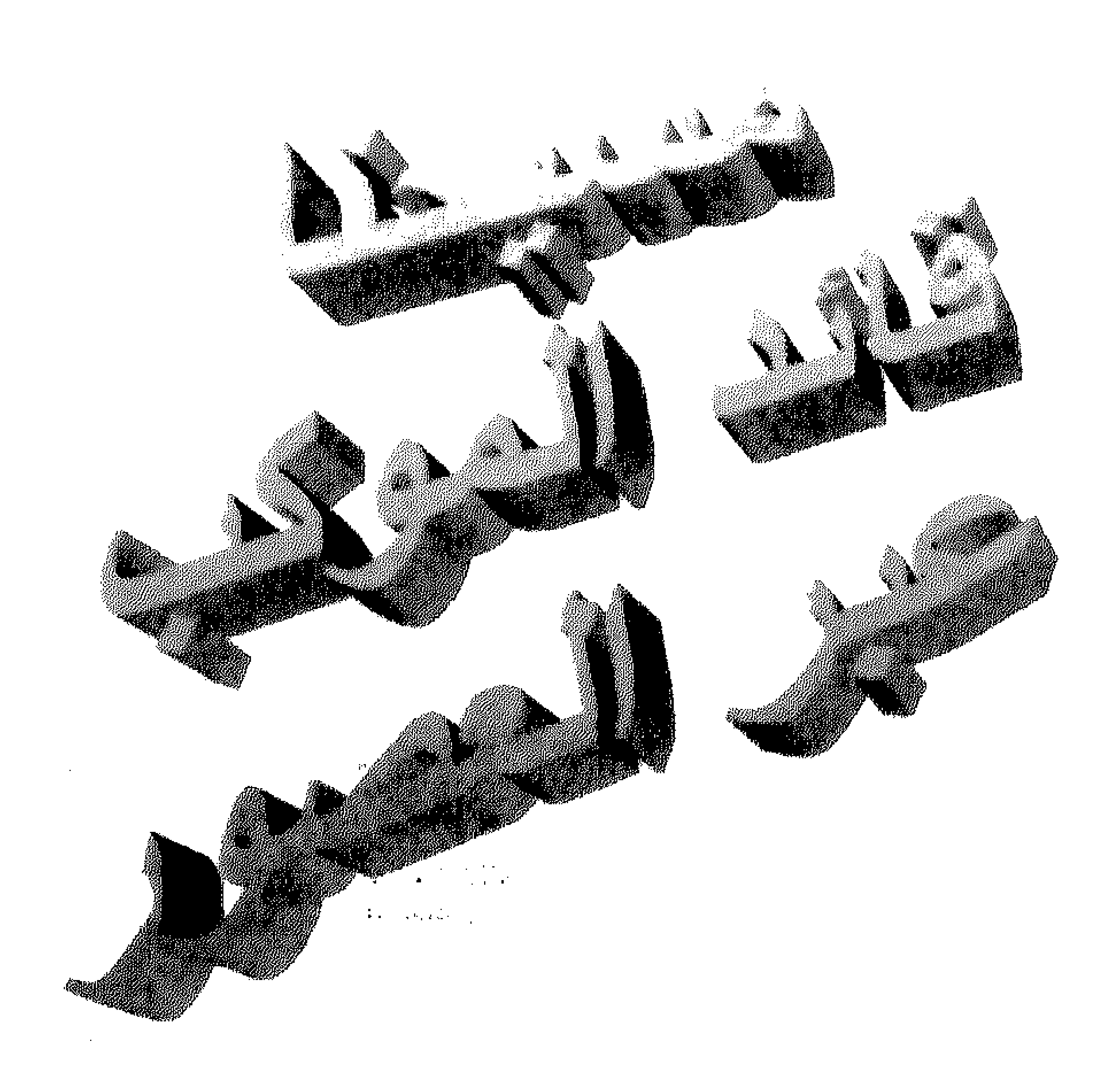

مسيحنا
قائد الموكب عبر العصور

مسيحنا

في تاريخ الكنيسة القبطية

١-٤



القمص تادرس يعقوب ملطي

COPTIC ORTHODOX CHRISTIAN CENTER

491 N. Hewes St.
Orange California



Entry of Christ into Egypt

اسم الكتاب : مسيحنا قائد الموكب عبر العصور

المؤلف : القمص تادرس يعقوب ملطي.

المطبعة : مطبعة دير الشهيد العظيم مارمينا العجايبي بمريوط .

رقم الإيداع : ٥٦٩٠ / ٢٠٠١

الترقيم الدولي : I. S. B. N. : 977 - 5005 - 64 - 7

رحلة علي السحاب

لم يصدق الطفل مارك نفسه وهو في طريقه إلي مطار كيندي بنيويورك لينضم هو وأسرته إلي بقية الرحلة المنطلقة إلي القاهرة. إنها المرة الأولي التي فيها يركب الطفل طائرة، وللمرة الأولي يذهب إلي مصر.

جلس مارك بجوار الشباك، وعلي الجانب الآخر جلس أخوه الأكبر أندرو. وكان مارك يفكر بعمقٍ شديدٍ والطائرة تصعد لتخترق السحاب وتعلو فوق السحاب متجه نحو مصر.

سأل أندرو أخاه الصغير: "فيمَ تفكر يا مارك؟"

أجابه مارك: "أندرو، إذ نطير بسرعة فوق السحاب نحو مصر، تذكرت ما قالته لنا تاسوني ماريان الأحد الماضي فقد حدثتنا عن إشعياء النبي الذي جاء قبل السيد المسيح بحوالي ٧٣٠ عامًا وقد رأي الطفل يسوع راكبًا علي سحابة خفيفة سريعة قادمًا إلي مصر (إشعياء ١٩: ١).

سألتها: **"هل كان في عصر السيد المسيح طائرة تسير علي السحاب؟ وهل كان في مصر مطارًا يستقبلها؟"**

أجابت ماريان: "نعم، فالطائرة هي السيدة العذراء. كانت كالسحابة، قلبها غير مثقل بالخطايا، بل بروح الرب الذي قدسها كانت تحمل المسيح وتطير به كسحابة لتدخل به إلي مصر!"

قلت لها: "يا لسعادة القديسة مريم! هل يمكنني أن أصير سحابة خفيفة وأحمل مسيحي وأطير به إلي مصر؟"

قالت: "نعم، مسيحنا يريد أن يصير كل البشر سحابة خفيفة، تصعد قلوبهم إلى فوق، وتطير حاملة شخصه إلي كل نفس، وكأنه يدخل إلي مصر.

سألتها: "هل تعنين إن نفوس غير المؤمنين هي مصر المحتاجة أن يدخل إليها السيد المسيح؟"

أجابتني: "هذا ما أعنيه تمامًا، فهو يريدنا أن نصير سحابة مقدسة تحمله إلي النفوس المسكينة فتفرح به".

كان أندرو يتابع حديث أخيه الصغير مارك، وإذ انتهي الحديث سأله: "مارك، ماذا فعل ربنا يسوع عندما دخل إلي مصر؟"

"ألم تقرأ يا أندرو ما كتبه إشعياء النبي؟

لقد سقطت أوثان مصر وتهشم الكثير منها (إشعياء ١٩: ٢)، فبدأ المصريون يتركون العبادة الوثنية ويقبلون الإيمان المسيحي.

لقد وضع حجر أساس كنيسة مصر بنفسه، فصار مذبح للرب في وسطها وعمود له في أرضها (إشعياء ١٩: ١٩)".

"ولماذا اختار مصر ولم يذهب إلي اليونان أو إيطاليا أو الهند أو الصين؟"

قالت لنا تاسوني ماريان إن مصر في ذلك الوقت كانت تمثل صاحب القلب القاسي والفاسد، فشعب اللَّه القديم ذاق الأمرّين من عبودية فرعون ورجاله حتى أرسل إليهم موسى النبي ليخرجهم من مصر بيد قوية وذراع

رفيعة.

لا نعجب إذ يقول الرب: "مبارك شعبي مصر" (إشعياء ١٩: ٢٥)، فإنه يريد أن يهرب إلي القلوب القاسية الشريرة ويجعل منها شعبه المبارك".

سأل مارك: "أتظنين يا أماه أنه لم يكن من بين الأمم أكثر شرًا من المصريين؟"

أجاب أندرو: "حقًا كان فرعون في استعباده لشعبه يمثل إبليس الذي يود أن يذلنا ويحرمنا من الحرية.

لكننا لا نتجاهل أن المصريين بوجه عام وكثير من الفراعنة كانوا يشتاقون إلي معرفة اللَّه.

لقد قال هيرودت المؤرخ المشهور: "المصريون متدينون بمبالغة، يسبقون كل جنس البشر".

لا نسمع عن كاهنات مكرسات للخطية لحساب الهيكل كما في معبد أفروديت عند اليونان.

ولا نسمع عن حرق الأطفال كذبائح للآلهة كما لدي كثير من الكنعانيين والكلدانيين.

يا مارك، القلب الذي يشتاق إلى المعرفة والتلاقي مع اللَّه لن يتركه اللَّه بلا عون!

إنه يدخل بنفسه إليه كما هرب إلي مصر لكي يبارك شعبه مصر".

عندئذٍ فتح أندرو حقيبته وأخرج كتابًا صغيرًا بغلافٍ جميلٍ عنوانه: "مسيحنا قائد الموكب".

قدّمه لأخيه الصغير مارك وهو يقول له:

"أنا أعلم أن الرحلة طويلة وقد أحضرت لك هذا الكتاب الشيق لتري كيف قاد مسيحنا الكنيسة عبر العشرين قرنًا كموكبٍ غالبٍ ومنتصر حتى يدخل بها إلي مجده.

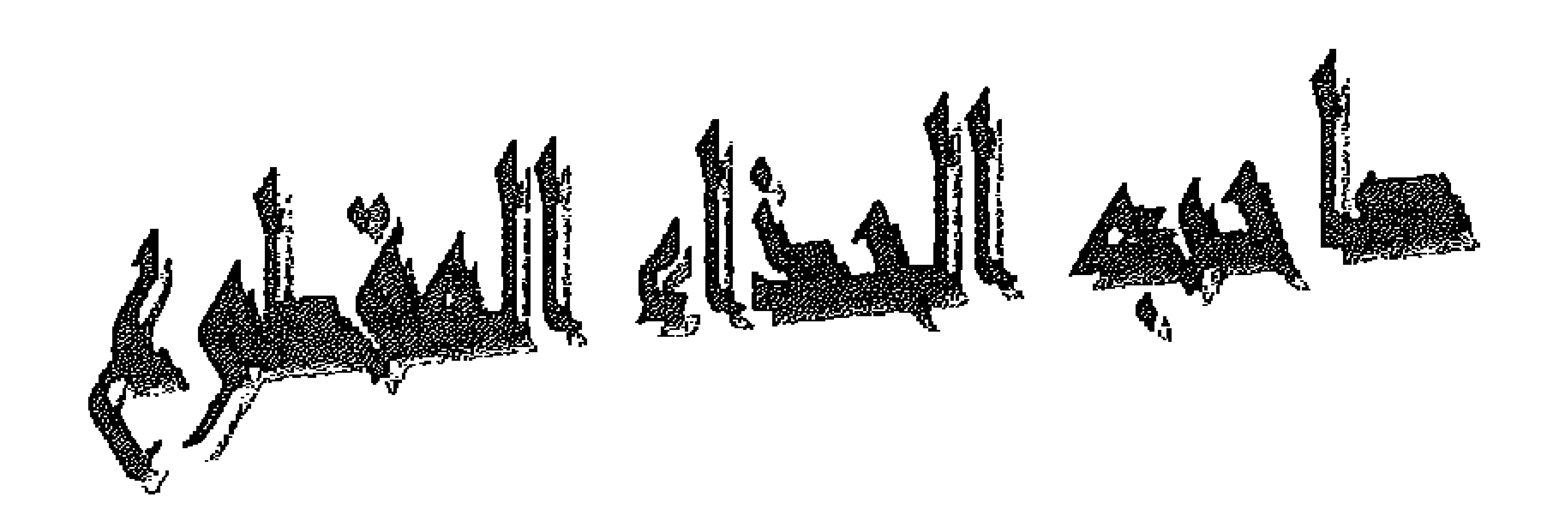
إنه عرض مبسط وشيق لتاريخ الكنيسة القبطية يقودها السيد المسيح الذي هرب إلي مصر وهو طفل محمولاً علي سحابةٍ خفيفةٍ سريعةٍ.

والآن يقيم منها سحابة خفيفة تحمله إلي قلوب الكثيرين.

وهو يحملها ليدخل بها إلي مجده".

فرح مارك جدًا بهذه المفاجأة الجميلة وشكر أخاه قائلاً له: "كم كنت مشتاقًا أن أقرأ عن تاريخ كنيستنا لأري كيف حقق الرب وعده: مبارك شعبي مصر".





بعد دقائق قدمت المضيفة هدية للأطفال، أما مارك فلم يتطلع إلى الهدية بل وضعها بجواره، فقد أعجب بكتاب "مسيحنا قائد الموكب"، صار يقرأ بشغفٍ شديدٍ.

وإذ قرأ الفصل الأول عن السيد المسيح قائد كنيسة مصر قال لأندرو.

"أندرو، إني أعجب حقًا كيف قاد مسيحنا كنيستنا.

لقد أرسل رسوله مرقس الذي كتب أيضًا إنجيل مرقس.

يا للعجب مسيحنا أرسل شابًا يبدأ بالكرازة، جال في الإسكندرية لا يعرف كيف يبدأ بالكرازة.

دخل حيّ **المصريين** فوجدهم جبابرة في فن النحت والرسم والتحنيط والهندسة.

أقاموا معابد عملاقة وأهرامات تعيش آلاف السنوات، يفتخرون بعلمهم ومعرفتهم... **كيف يقبلون إلهًا صار إنسانًا لم يقدم شيئًا من العلوم والمعرفة؟**

انطلق إلى حيّ **الرومان** فوجدهم سادة البلد وحكامها يفتخرون بالقوة والسلطة والجبروت، كل ما يشغلهم جمع المال لحَساب قيصر، **فكيف يقبلون إلها صار فقيرًا للغاية؟**

ذهب إلي حيّ **اليونان** فوجدهم منهمكين في تثقيف أولادهم بالفلسفة

والبلاغة والمنطق، يعتّزون بأنهم سيطروا علي العالم بأفكارهم الفلسفية وثقافتهم الهيلينية (اليونانية)، **فكيف يقبلون يسوع المسيح البسيط معلمًا سماويًا؟**

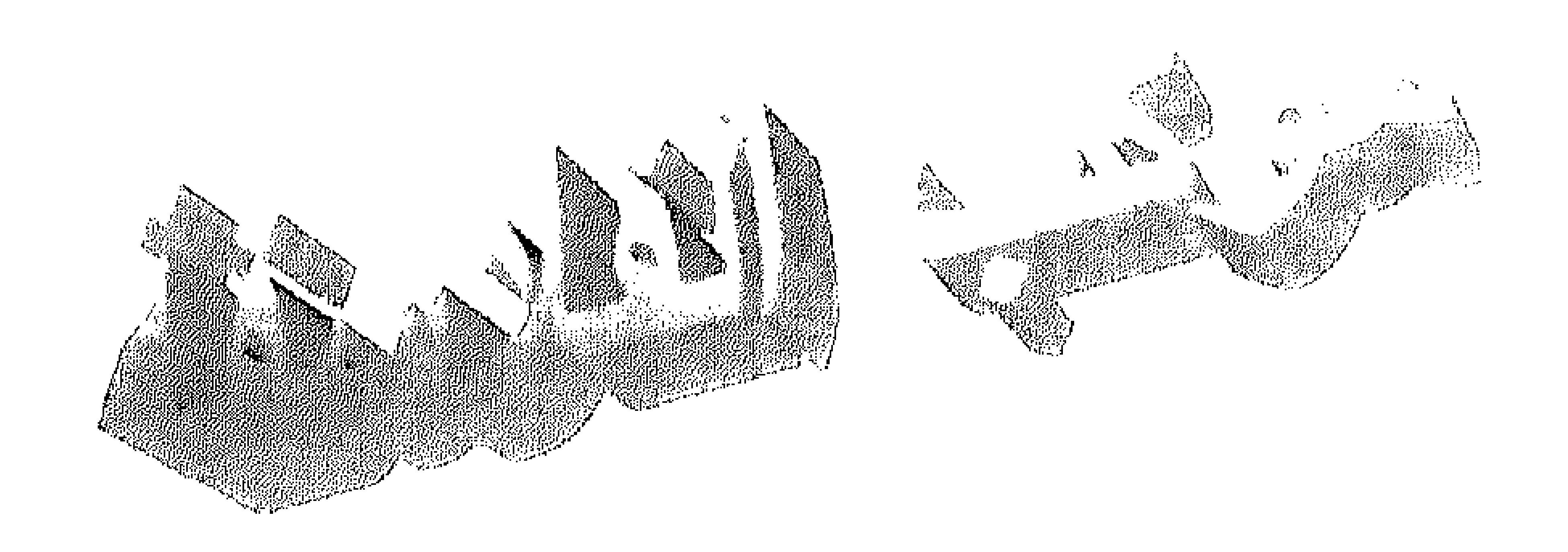
وأخيرًا سار في حيّ اليهود فوجدهم ينتظرون مجيء المسيا المخلص الذي يقيم مملكة عبرانية تسود العالم كله، وتخلصهم من الاستعمار الروماني ليستعمروا كل البشرية. **فهل يقبلون المسيا المصلوب الذي يعلن أن مملكته ليست من هذا العالم؟**

أندرو... إني متعجب كيف أرسل مسيحنا هذا الشاب الحائر الذي جال وسط هذه الأحياء الأربعة وأخيرًا تهرأ حذاؤه، ولم يكن له ما يدفعه لتصليح حذائه لدى الإسكافي أنيانوس.

مسيحنا سمح أن يدخل المخراز في كف أنيانوس ليصرخ: "يا اللّه الواحد"، وباسم يسوع يشفيه القديس مرقس ويبشره بيسوع المسيح.

أنيانوس هذا قدم بيته كنيسة، وبدأت كنيسة الإسكندرية وانتشر الإيمان، وصار أنيانوس أسقف الإسكندرية. وبدأ وعد اللَّه يتحقق: "مبارك شعبي مصر" (إشعياء ١٩:٢٥).

مسيحنا الذي جاء راكبًا كما علي سحابة حين حملته القديسة مريم عند هروبها مع القديس يوسف من وجه هيرودس الطاغية (متى)، جاء أيضًا راكبًا سحابةً جديدةً هي قلب مرقس الرسول لِيُقيم من المصريين مواكب عجيبة.



في بساطة الإيمان كسب مارمرقس قلب أنيانوس الأمي ليجعل منه قائدًا قويًا لموكب كنيسة الإسكندرية.

سأل أندرو أخاه الصغير: "وهل تجاهل مرقس الرسول فئة الفلاسفة أصحاب العلم والمعرفة؟"

تطلع مارك إلي أخيه وهو يقول:

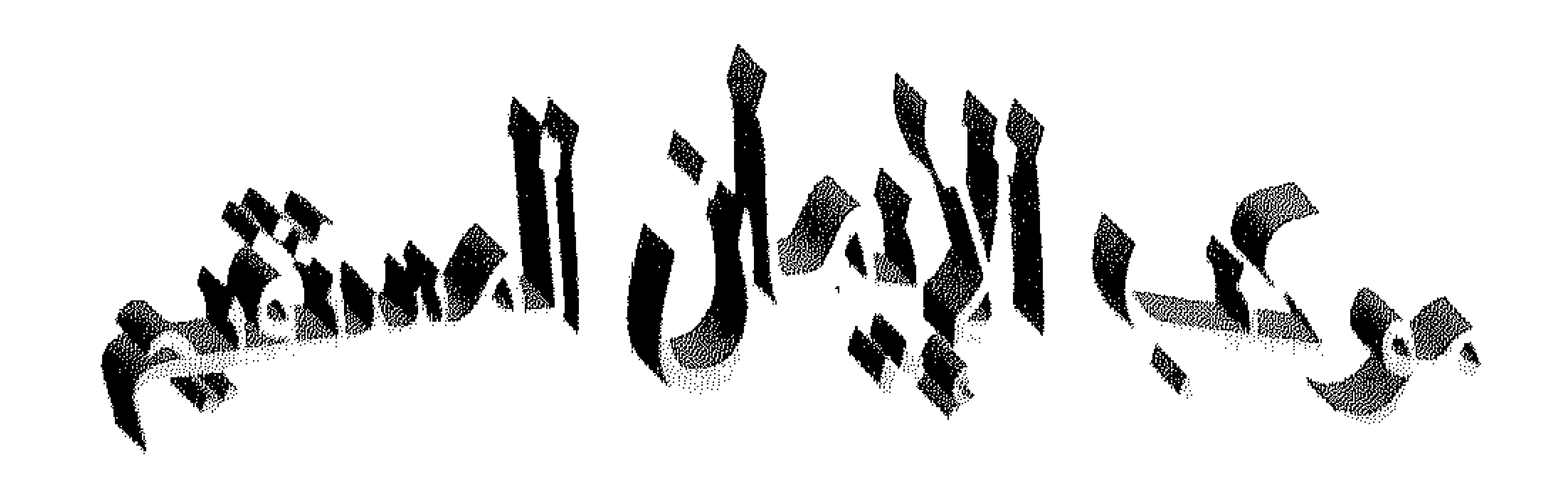
"لا، فإن مسيحنا ليس عنده محاباة، يحب البسطاء الأُميين وأيضًا الفلاسفة والعلماء.

لقد وضع في قلب حبيبنا مارمرقس أن يقيم مدرسة الإسكندرية، **أول معهد مسيحي في العالم كله.**

اجتذب المعهد فلاسفة وثنيين، وقفت مدرسة الإسكندرية في مواجهة أكبر مدرسة علمية وفلسفية في كل الشرق، مدرسة الإسكندرية الفلسفية التي أنشأها بطليموس في القرن الثالث قبل الميلاد.

واجهتها لا في عداوة وتكفير لأعمالها، بل في حبٍ وخدمةٍ مع دراسة ومعرفة، **فصار بعض الفلاسفة مؤمنين!**

هكذا قاد مسيحنا موكب الفلاسفة وكان من بينهم بنتينوس وأثيناغوراس وإكليمنضس السكندري الخ. عمالقة في الفلسفة وأصحاب معرفة مسيحية، وقديسون في حياتهم. **مسيحنا هو قائد موكب الفلاسفة**



قال مارك:

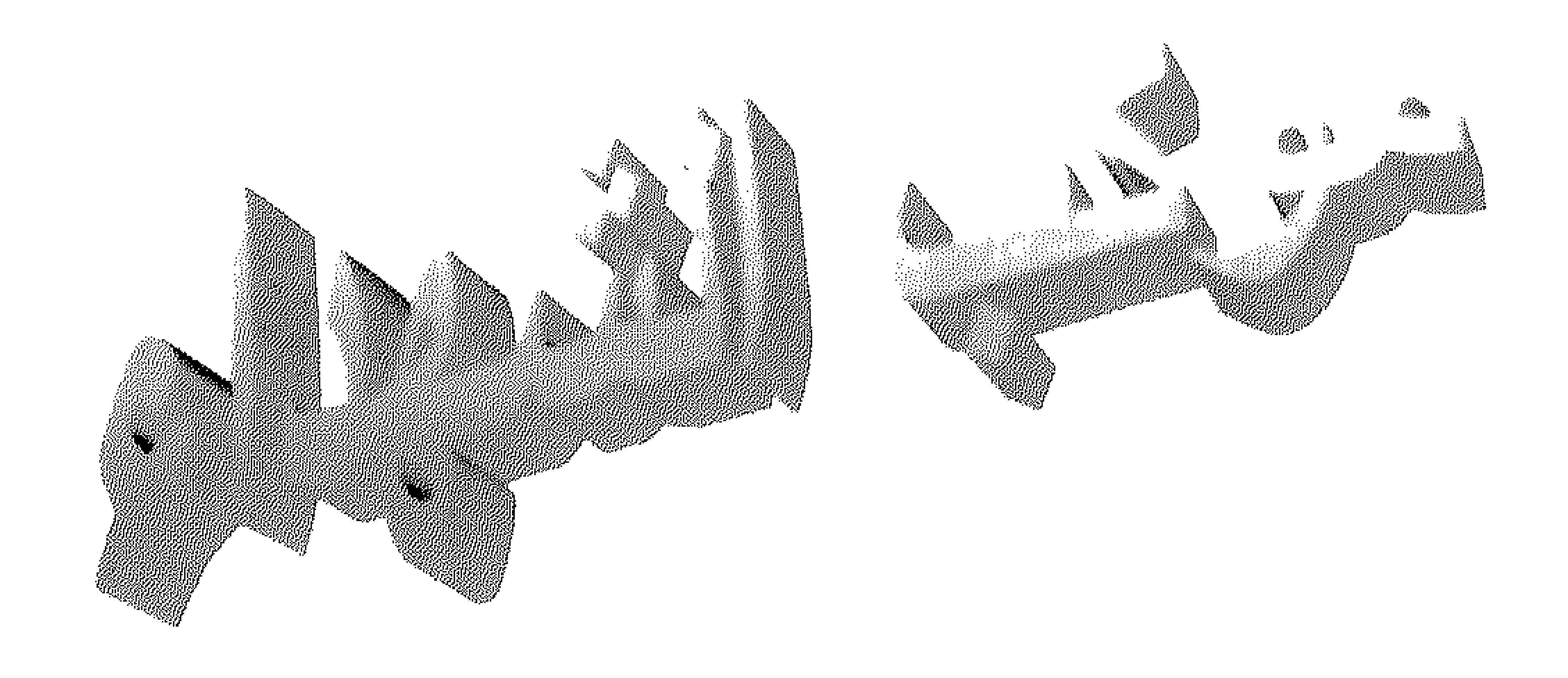
"أندرو، يا للعجب فإن مسيحنا لم يقُد موكب الفلاسفة فقط لكنه أقام **قادة لحفظ الإيمان المستقيم في العالم كله.**

لقد نشأت الأربعة كراسي الأولى في العالم وهي أورشليم وإنطاكية وروما والإسكندرية وفيما بعد انضم إليها كرسي القسطنطينية حين صارت القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية الشرقية.

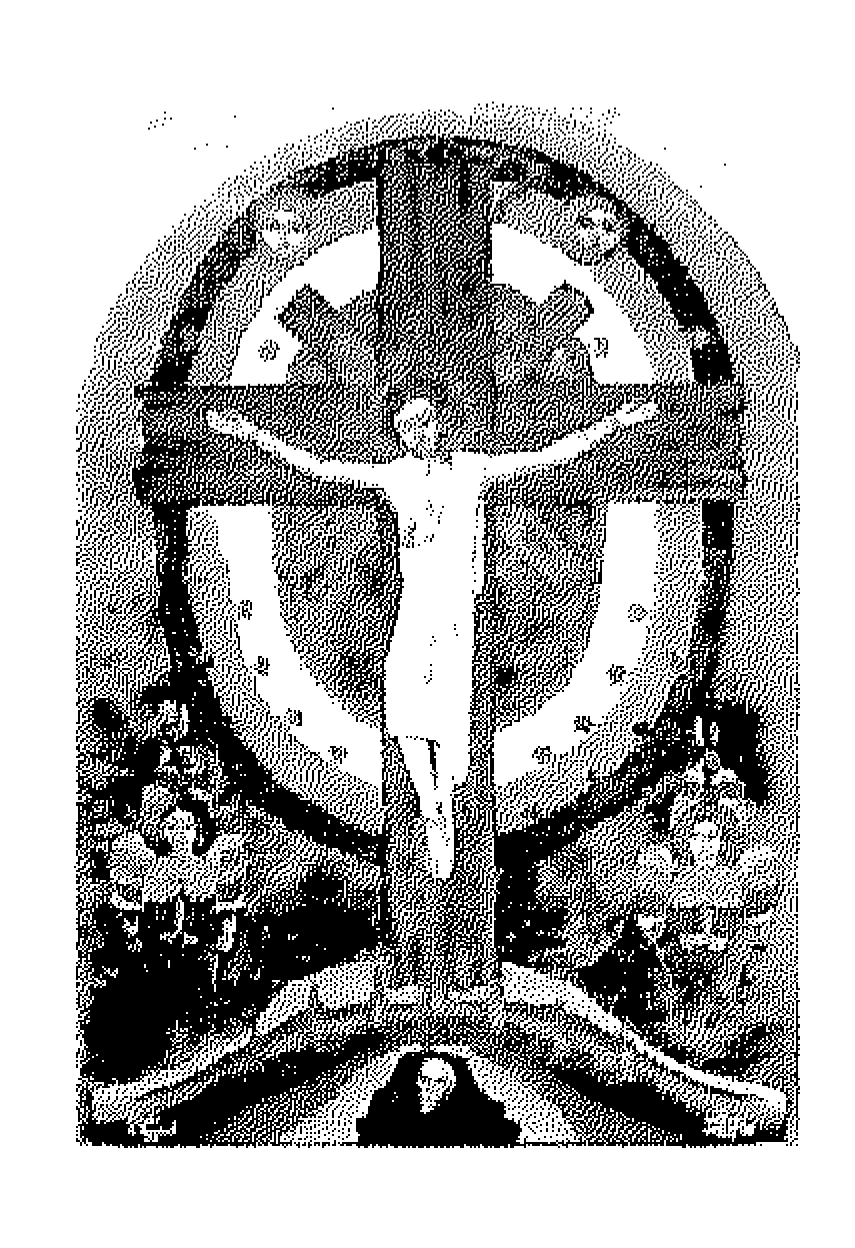
كانت مصر مستعمرة رومانية لا سلطان لها، **ولم يطلب أساقفة الإسكندرية أو باباواتها يومًا ما أن يكونوا قادة علي كنائس العالم، لكن مسيحنا وهبهم قيادة روحية إيمانية علي مستوي مسكوني.**

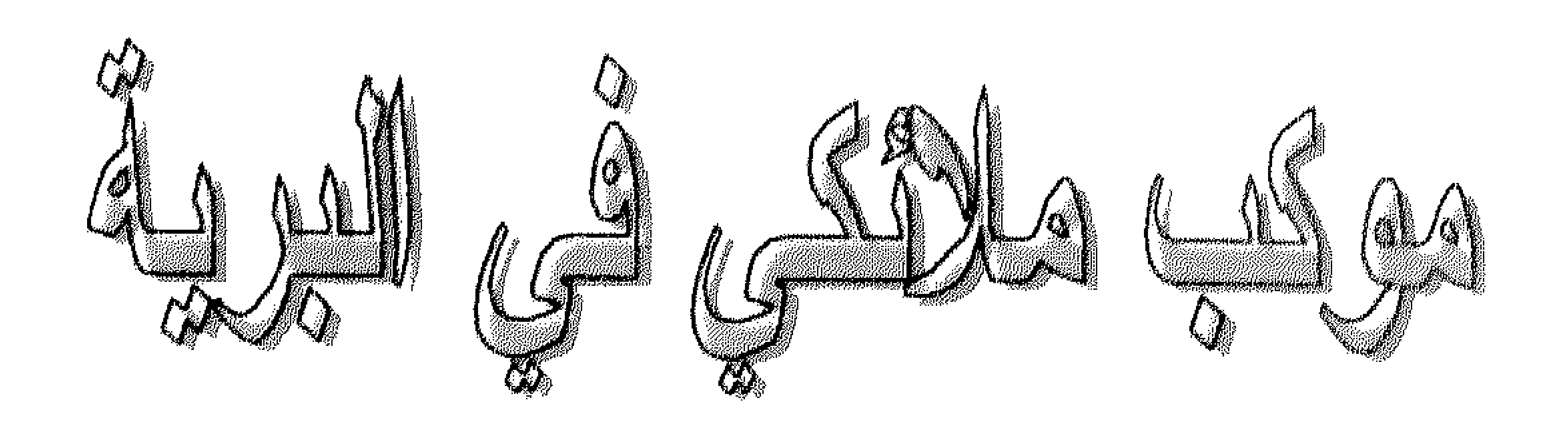
ففي أول مجمع مسكوني في العالم في نيقية حيث اجتمع ٣١٨ أسقفًا، هزّ **القديس أثناسيوس** الذي صار بابا الإسكندرية العشرين قلوب الأساقفة، وصار قائدًا لاهوتيًا فريدًا. وهكذا كان **القديس كيرلس الكبير** بابا الإسكندرية حيث قاد مجمع أفسس المسكوني سنة ٤٣١.

ولعبت الغيرة دورها حين برز **البابا ديسقوروس** في دفاعه عن وحدة شخص المسيح وعدم انقسامه إلي طبيعتين منفصلتين وشخصين كما ادعي نسطور.



مسيحنا لازال يحقق وعده: "مبارك شعبي مصر" فوهب مرقس الرسول ان يكون شهيدًا. وقدمت مصر مُدناً بأكملها كمدينتي إسنا وإخميم للاستشهاد، وفي كل العصور وُجد شهداء. **قائد الموكب العجيب يقود الكثيرين إلي أكاليل الاستشهاد حتى يومنا هذا.** وكما قالت مادام بوتشر في كتابها عن تاريخ الكنيسة القبطية إن بقاء الأقباط إلى يومنا هذا هو أحد عجائب الدنيا السبع! هذا حق لأنه مع وفرة عدد الشهداء يعمل قائد الموكب رب الشهداء في هذه الكنيسة التي لن تتزعزع!





"انظر يا مارك، فإن كثير من الأساقفة خاصة في روما والقسطنطينية كانوا يتهافتون علي مجالسة الأباطرة ورجال الدولة العظماء. صارت الكنيسة في خطر أن يدخل روح العالم إلي قادة الكنيسة وشعبها. لكن مسيحنا القائد السماوي قاد كنيسة الإسكندرية في موكب سماوي نحو البرية!"

"ماذا تعني يا أندرو؟"

"سحب مسيحنا قلب **أنطونيوس الشاب القبطي** إلي السماء فاشتهى أن يبيع كل شيء ويحيا كملاك اللَّه. دخل إلي البرية كمتوحدٍ لا ليعيش في مغارة منعزلة، ولكن ليسعد بشركته مع إلهه ويتمتع بالحياة الداخلية الملائكية".

"وهل يقدر كل مؤمن أن يسلك كأنبا أنطونيوس؟"

"لا، لذلك أرسل اللَّه أيضًا قادة آخرين عظماء مثل **القديس مقاريوس والقديس أمون** وغيرهما فأقاما نظام الجماعات في البرية، يعيش الرهبان معا حول كنيسة صغيرة ويشتركوا في العبادة والطعام يوميَ السبت والأحد".

" ألا ترى أنه حتى هذا الطريق صعب؟"

"نعم، لذلك أرسل اللَّه أنبا باخوميوس في صعيد مصر وأقام نظامًا بسيطًا للرهبنة يُدعى نظام الشركة. يأكل الرهبان مرتين في اليوم معًا ويصلون معًا، ويقوم كل منهم بدوره لخدمة الجماعة الرهبانية، بل ولخدمة الكنيسة كلها".

"حقًا إن يسوعنا كان قائدًا لكل هذه الحركات الرهبانية الملائكية التي كانت تشعر بالانسجام حتى فيما بينها وليس إلى جوٍ من المنافسة.



موكب المتعبدين

"أندرو... بعض زملائي الأمريكان يتعجبون كيف نصوم أكثر من ٢٠٠ يومًا في السنة، ونصلي قداسًا يمتد لمدة ساعتين ونقضي أحيانًا اليوم كله في العبادة كما في يوم الجمعة العظيمة، وأحيانا الليل كله كما في سبت لعاذر وبدء السنة القبطية (عيد النيروز) وسهرات شهر كيهك".

" لا تنسى يا مارك أن الذين التقوا بأقباطٍ روحيين أدركوا سرّ القوة في هذه العبادة العميقة التي يقودها روح اللَّه القدوس.

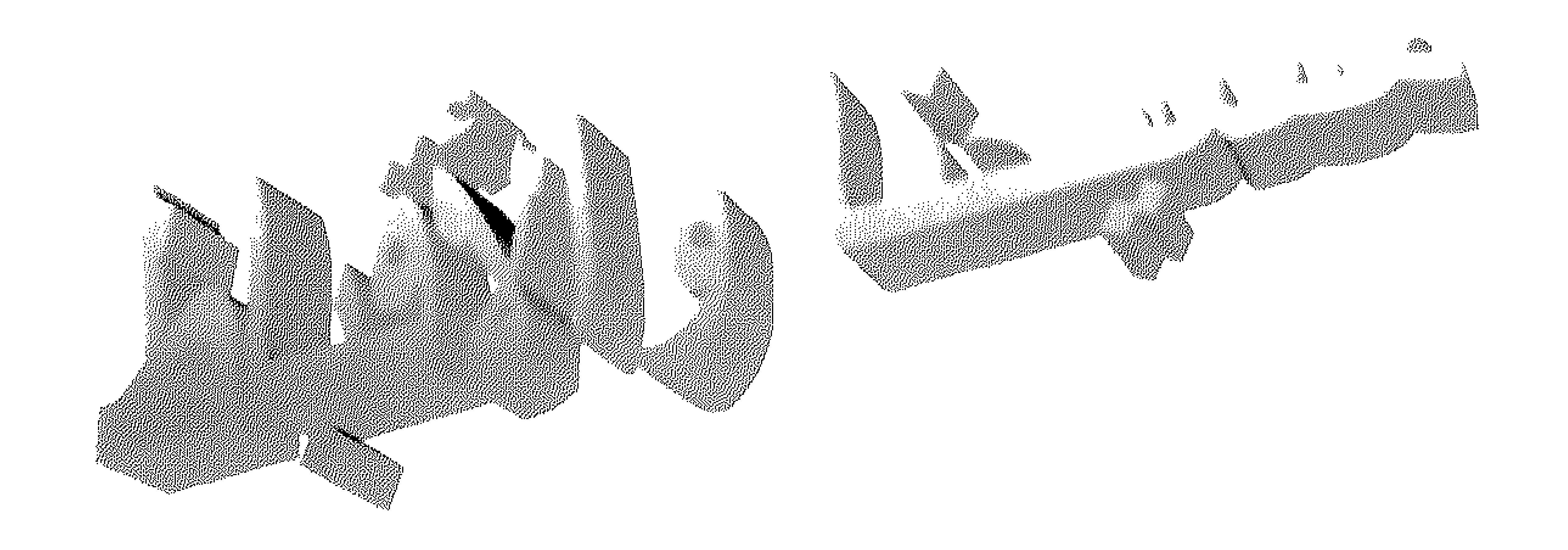
لقد سمعت قصصًا كثيرة عمن شعروا أنهم في هذه العبادة الروحية كانوا يعيشون كما في السماء عينها

آه ليتنا نحيا بروح الرب فيذوق العالم عذوبة الحياة السماوية التي ننعم نحن بها".



مسيحنا
في تاريخ الكنيسة القبطية
١





تطلع مارك إلي أخيه أندرو، وببهجة قلب قال له: "إذ قرأت كتاب "**مسيحنا قائد الموكب عبر القرون**" أحسست حقًا بأن السيد المسيح الذي جاء للعالم كله قد جعل منّا جيشًا عظيمًا بألوية (نشيد الأناشيد ٦:٤، ١٠)، ندخل إلي أورشليم العُليا منتصرين ومتهللين. إنه قائد موكب النصرة للكنيسة في العالم كله. لمسات حبه يختبرها كل مؤمنٍ حقيقيٍ.

الآن إذ أرى كنيسة الإسكندرية التي بعث إليها السيد المسيح رسوله مرقس الرسول موكبًا عظيمًا أتساءل: "لماذا دُعينا نحن بالأقباط؟"

أجاب أندرو: "ألا تعرف أن كل مصري إنما هو قبطي، فقد دعيت مصر "هاك كابتاح" أي "بيت روح بتاح"، من أعظم الآلهة في الأساطير المصرية. وكان اليونانيون يدعونها "ايجيبتوس". لذلك عندما دخل العرب مصر صارت كلمة قبط "(ايجيبتوس) مستخدمة عن المصريين المسيحيين تمييزًا لهم عن المسلمين في مصر.

سأل مارك أخاه: "وكيف قاد مسيحنا الموكب في القرن الأول؟"

أجاب أندرو: "**يرجع عمل الله في المصريين إلي آلاف السنوات قبل هروب السيد المسيح إلى مصر.**

كان المصريون يشتاقون إلي الحياة ما بعد الموت، وقد كرّسوا تقدمهم العلمي لذلك، فاهتموا ببناء الأهرامات كما بالتحنيط.

بينما اهتمت الحضارات القديمة في العالم بالملذات الأرضية كان **المصريون مشغولين بالقيامة من الأموات**. لقد عرف كثير من المصريين **فكرة وحدانية الله وعدم محدوديته وحنو محبته.**

لقد آمن قدماء المصريين **العلم ليس عدوًا للإيمان بل خادمًا له،** ففتحت مصر أبوابها للفلاسفة والعلماء، وظهرت أعظم مدرسة فلسفية في الشرق وأكبر مكتبة في العالم كله.

هكذا تهيأت قلوب المسيحيين لقبول السيد المسيح فيها في القرن الأول الميلادي.

لقد جاء الطفل يسوع مع والدته والقديس يوسف هاربين إلى مصر من وجه هيرودس الطاغية".

سأل مارك: "متي دخلت المسيحية مصر؟"

أجاب أندرو: "ألم تقرأ في سفر الأعمال كيف وُجد يهود جاءوا من مصر وحضروا يوم العنصرة، حين حل الروح القدس علي التلاميذ (أعمال الرسل ٢: ١٠)؟ هؤلاء بالتأكيد إذ عادوا إلي مصر تحدثوا مع أقربائهم وجيرانهم من يهود ومصريين عما رأوه وسمعوه عن السيد المسيح وحلول الروح القدس.

جاء في نفس السفر انه وُجد كارز غيور "فصيح مقتدر في الكتب" هو أبولس السكندري (أعمال الرسل ١٨: ٤، ٢٨).

وأيضًا وجّه القديس لوقا إنجيله إلي "العزيز ثيؤفيلس" (لو ١: ٣)، وهو مؤمن مسيحي له مركزه المرموق بالإسكندرية.

وأخيرًا فإننا نحن الأقباط نعتز بالكارز مرقس أحد السبعين رسولاً،

كان حاضرًا في عرس قانا الجليل، وهو الشاب الذي كان حاملاً الجرّة حينما ذهب تلميذان ليُعدا الموضع للفصح (مرقس ١٤: ١٣، ١٤؛ لوقا ٢٢ : ١١). وهو الذي هرب عريانًا عند الصلب (مرقس ١٤: ٥١).

سأل مارك: "ولماذا تُرسم صورة أسد بجوار مارمرقس؟"

أجاب أندرو: "بعد صعود السيد المسيح كان الشاب مرقس سائرًا مع والده في طريقهما إلي الأردن. ظهر لهما أسد فخاف الأب علي ابنه، وطلب منه أن يتراجع إلي الوراء حتى يتقدم الوالد فيفترسه الأسد ويهرب مرقس. لكن مرقس طمأنه بأن يسوع المسيح قادر أن ينقذهما. رشم القديس مرقس الأسد بالصليب فسقط الأسد ميتًا وآمن الوالد بالسيد المسيح.

رافق القديس مرقس قريبه القديس بطرس في رحلاته التبشيرية في أورشليم واليهودية. ثم رافق القديسين بولس وبرنابا في الرحلة التبشيرية الأولي وربما بسبب مرضه عاد إلى بلده (أعمال ١٣: ١٣).

ذهب مع ابن عمه القديس برنابا في الرحلة التبشيرية إلي قبرص (أعمال ١٥: ٣٦-٤١). عاد يخدم مع الرسول بولس في كولوسي (أعمال ٤:١١) وروما (٢ تيموثاوس ٤: ١١)، وربما في فينسيا.

أما عمله الرئيسي فكان في أفريقيا. ترك روما وذهب إلى موطن ميلاده "بنتابوليس" أي "الخمس مدن الغربية" ثم سافر إلى صعيد مصر ومنها إلى الإسكندرية وكان ذلك عام ٦١م.

آمن الإسكافي أنيانوس علي يديه واعتمد هو وأهل بيته. وسرعان ما انتشر الإيمان.

ثار الوثنيون بسبب سرعة انتشار المسيحية. سام مارمرقس أنيانوس أسقفًا علي الإسكندرية، كما سام ثلاثة كهنة وسبعة شمامسة ثم

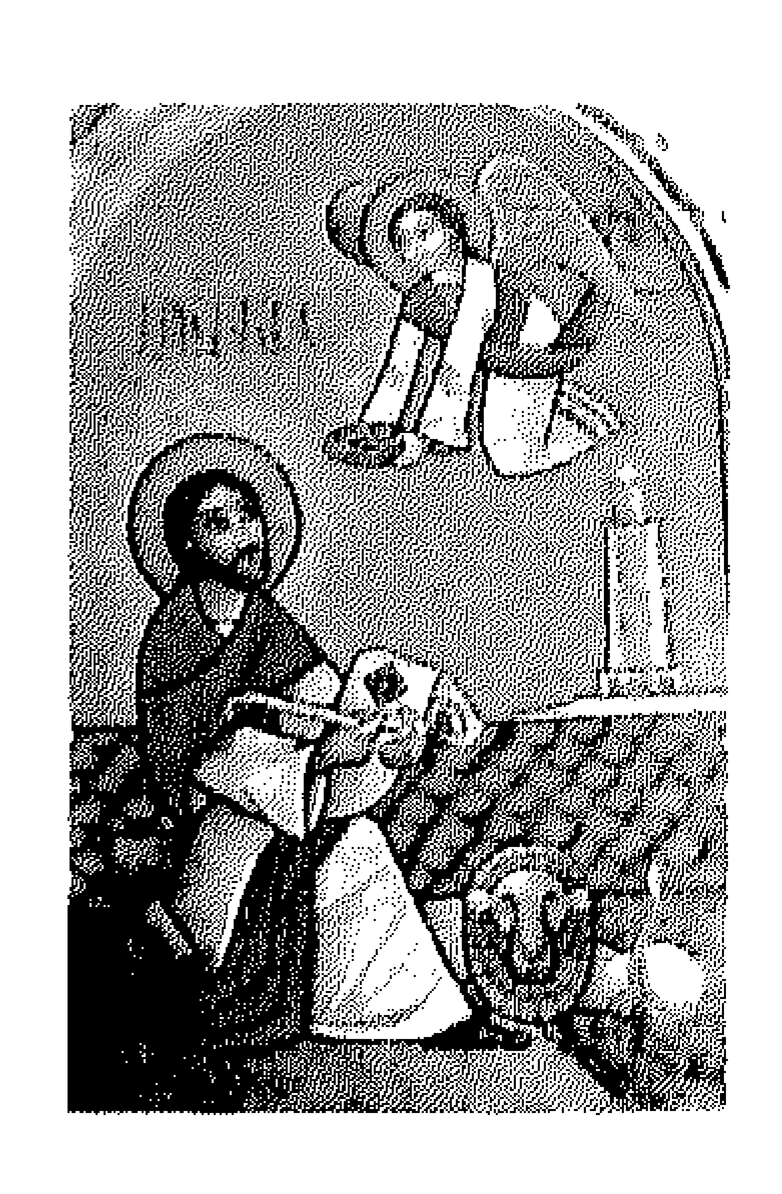
ترك الإسكندرية إلى برقة بليبيا، ومنها إلى روما حيث التقى بالقديسين بطرس وبولس وبقي إلى أيام استشهادهما.

عاد مارمرقس إلى الإسكندرية حيث كان عدد المؤمنين قد تزايد جدًا وقد بنوا كنيسة بحيّ بوكاليا.

في عام ٦٨م إذ كان عيد القيامة المجيد (الفصح المسيحي) يوافق يوم عيد سيرابيوس اجتمع الوثنيون الثائرون علي الكنيسة في هيكل سيرابيوس بالإسكندرية. هجموا علي الكنيسة التي ببوكاليا وربطوا القديس مرقس وصاروا يجرونه في شوارع الإسكندرية، وكانت الجماهير تصرخ: "ليؤتى بالثور إلي بوكاليا"، حيث كانت الثيران تعلف لذبحها للأوثان.

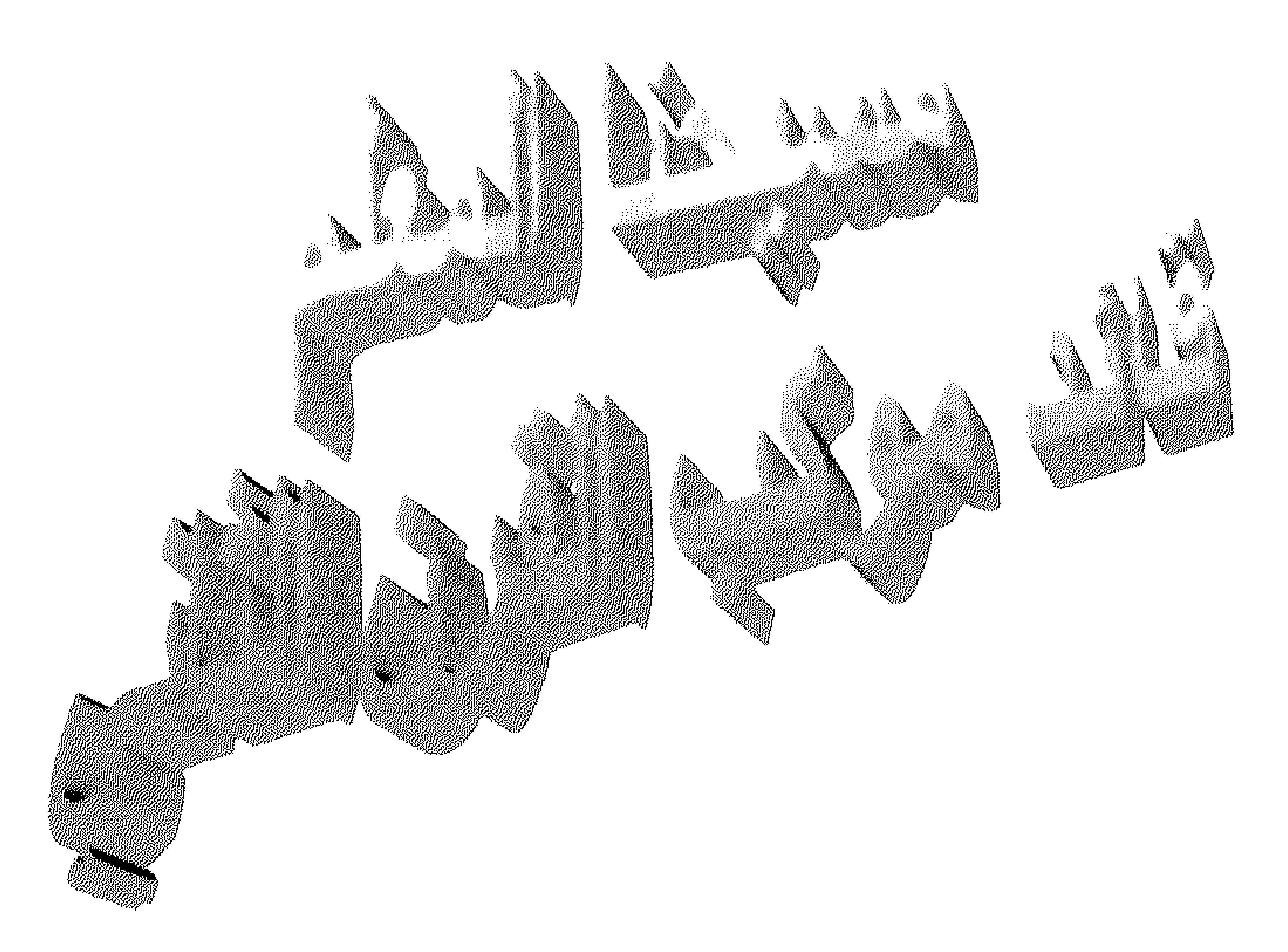
أُلقي مارمرقس في السجن، فظهر له ملاك يشجعه، ثم ظهر له السيد المسيح نفسه. وفي الصباح سُحب مارمرقس في شوارع الإسكندرية فكانت دماؤه تسيل.

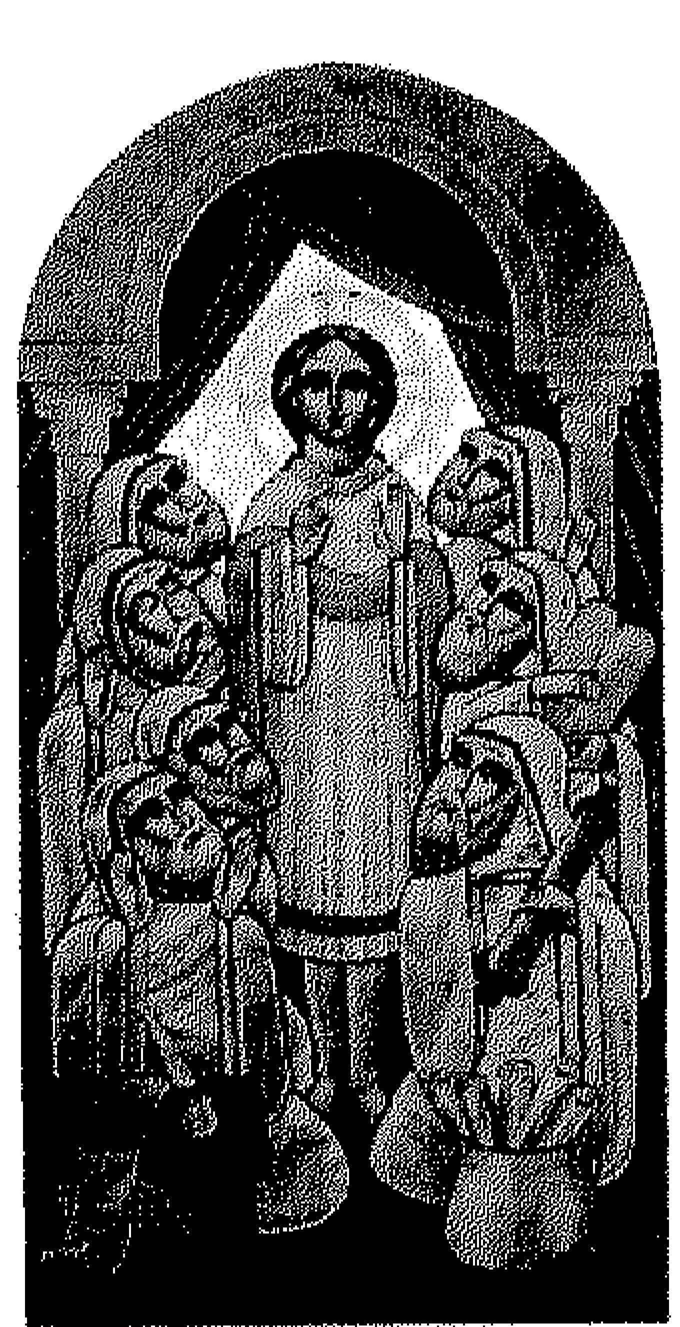
استشهد القديس، فأراد الوثنيون حرق جثمانه، لكن الرب أرسل ريحًا شديدة وسقطت أمطار غزيرة فتفرقت الجماهير وسرق المسيحيون جسده ودفنوه في مقبرة نُحتت تحت مذبح الكنيسة.



المسيح مؤسس كنيسته في مصر
في القرن الأول

- انفردت مصر من بين كل دول العالم بهروب الطفل يسوع إليها، وكأنه **قد جاء ليؤسس بنفسه بيته فيها.**
- عمل خلال **اليهود الذين جاءوا إلي أورشليم** وحضروا يوم العنصرة وعادوا يكرزون بالمسيح.
- أقام **اللَّه شهودًا له من فئات مختلفة**، مثل أبلّوس الفصيح والمقتدر في الكتب، والعزيز فيلوثيؤس الذي وجه إليه القديس لوقا إنجيله.
- أرسل مارمرقس **يكرز في ليبيا وصعيد مصر والإسكندرية.**
- سام مارمرقس **أنيانوس أسقفًا علي الإسكندرية** ومعه ثلاثة كهنة وسبعة شمامسة للخدمة والرعاية.
- حث القديس مرقس علي **إقامة مدرسة الإسكندرية** التي واجهت بالحب الفلسفات السائدة، وكسبت الفلاسفة للسيد المسيح، وبعثت حب التمتع بالكتاب المقدس والكرازة بالإنجيل.
- بالمسيح يسوع سجّل لنا القديس مارمرقس **القداس الإلهي** الذي أضاف إليه فيما بعد القديس كيرلس الإسكندري (القداس الكيرلسي).
- **تمتعنا بإنجيل مارمرقس.**





Christ Teaches in the Temple

كاترين تسأل:

ما هي أول مدرسة مسيحية في العالم؟

تطلع أندرو إلى أخيه مارك ورآه مشتاقًا أن يعرف الكثير عن عمل السيد المسيح عبر القرون، فروى له ما حدث بين أختهما كاترين ووالدتهما لوسي، فقال:

منذ أسبوع في رقة ولطف قالت أختنا كاترين لوالدتنا لوسي: "آسفة يا أماه، فقد شغلت التليفون أكثر من ساعة! لقد كنت أتحدث مع تاسوني فيبي!"

ابتسمت والدتنا وأخذت كاترين في حضنها وهي تقول لها: "لا تعتذري قط. إني أشتهي أن تكوني مثلها، تحملي نفس روحها، فهي بحق مقدسة للرب، أود أن تَتَلّمذي علي يديها".

تطلعت كاترين نحو عيني أمها وهي تقول: "ألا تتضايقين يا أماه وأنا أتحدث كثيرًا مع تاسوني فيبي؟"

أجابت والدتنا: "لا يا بنتي، فإني أشعر أن تاسوني فيبي مدرسة مسيحية، تُتلمذ كثيرًات كبنات للرب. إنها تُذكرني بأول مدرسة مسيحية في العالم؟"

تساءلت كاترين: "وما هي أول مدرسة مسيحية في العالم؟ وكيف نشأت؟"

أجابت والدتنا: "كانت الإسكندرية أكبر مركز للعلم والفلسفة في كل الشرق. كان بها عدّة مدارس أشهرها مدرسة الإسكندرية الفلسفية التي كانت أشبه بالجامعة، حيث يقوم الفلاسفة والعلماء بالبحث والتدريس، وكانت مكتبتها أعظم مكتبة في العالم كله! لذلك أنشأ مارمرقس أول **مدرسة مسيحية في العالم المسيحي تستطيع أن تجتذب المتعلمين من كل الفئات للإيمان المسيحي".**

سأل مارك أخاه الأكبر: "إن كان مسيحنا قد جاء وهو طفل ليؤسس كنيسته في بلدنا، فأرسل مارمرقس الرسول والإنجيلي ليكرز لنا، **فما هي الضرورة لإنشاء أول مدرسة مسيحية في العالم المسيحي؟"**

أجاب أندرو: "أتتذكر يا مارك جارتنا سوزي التي بقيت خمسة عشر عامًا لم تنجب، ماذا كانت مشاعرها عندما أنجبت طفلها ماثيو بعد كل هذه المدة؟"

قال مارك: "أظن إنها كانت تشعر بأنها أسعد من علي الأرض".

سأل أندرو: "هل كان يكفي أن تفرح بميلاد ماثيو ولا تقدم له اللبن من صدرها، وعندما يكبر تهتم بغذائه وشرابه وكل احتياجاته؟"

قال مارك: "مستحيل! إنها حتى اليوم لا يشغلها شيء غير أن ترى ماثيو ينمو ويكبر يومًا بعد يوم".

"هكذا عاشت مصر مشتاقة إلي الكنيسة التي وُلدت في القرن الأول، وتحتاج أن تنمو باستمرار. غذاؤها هو الإيمان الحي الذي يرتبط بالمعرفة الحقيقية. وقد وهب اللّه كنيسة مصر مدرسة الإسكندرية

لكي يتمتع الكثيرون بالسيد المسيح المعلم كقائد لموكب الكنيسة عبر الأجيال".

سأل مارك: "لقد أخبرتني بأن مارمرقس أنشأ مدرسة الإسكندرية في القرن الأول لتواجه كل الثقافات المتنوعة من مصرية وهيلينية (يونانية) ويهودية ورومانية بذهن متسع وقلب مفتوح، فلماذا تحدثني عنها في القرن الثاني؟"

أجاب أندرو: "في القرن الأول بدأت مدرسة الإسكندرية كمدرسة للموعوظين تضم طالبي العماد من الأمم واليهود ليتعلموا الإيمان المسيحي، وتقدم لهم دراسات تؤهلهم لنوال سرّ المعمودية. التحق بها طلبة من ديانات مختلفة وثقافات متباينة وذوو مراكز اجتماعية متفاوتة. أما القرن الثاني فقد صارت المدرسة عمودًا رئيسيًا في مبنى الكنيسة الروحي".

سأل: "ماذا تقصد بالعمود الرئيسي؟"

أجاب أندرو: "أولاً: ظهر قادة للمدرسة كان ولا يزال لهم تأثيرهم علي الكنيسة الجامعة مثل الفيلسوف أثيناغوراس، والقديسين بنتينوس وإكليمنضس السكندري. فقد علّمونا كيف نُكرس مواهبنا وطاقاتنا لحساب الإنجيل".

ثانيًا: شجعت المدرسة علي الدراسات الدينية العُليا، ففتحت أبوابًا للبحث. وفي نفس الوقت كان الأساتذة والطلبة رجال إيمان ورجال عبادة يبتغون الكمال. كثيرون منهم كانوا زاهدين ونُساكًا ومحبين للبتولية.

ثالثًا: ربح رجالها أنفس كثيرة للإيمان وبعثت فيهم روح الكرازة والشهادة للسيد المسيح والاستشهاد.

رابعًا: حملت المدرسة روحًا مسكونيًا، فجذبت طلبة من أممٍ مختلفة، عاشوا بفكرٍ واحدٍ، وصار كثير منهم قادة وأساقفة في كنائسهم.

خامسًا: لم تهاجم المدرسة الفلسفة ولا الفلاسفة، لكنها استخدمت فلسفتهم لتكسبهم للسيد المسيح.

سادسًا: قدمت مثلاً حيًا للحياة المسيحية الصادقة فمن جانب لم يكن لها مبني خاص بل كان بيت العميد هو المدرسة. أينما حلَّ جلس حوله وحول الأساتذة الطلبة لا ليتلقّنوا علمًا فحسب بل ويتتلمذوا لهم كأبناء في الرب.

لم ينشغل قادة المدرسة بالسياسات الكنسية ولا الإداريات، بل بروح التواضع قدَّمت المدرسة نفسها خادمة للسيد المسيح عريس الكنيسة".

سأل مارك: "وما هو منهج المدرسة؟"

أجاب أندرو: "لم تقتصر المدرسة علي الدراسات الدينية وحدها بل كانت تقدم دراسات في مجالات كثيرة. قسمت الدراسات علي ثلاثة مستويات:

المستوي الأول: دراسات خاصة بغير المسيحيين، لكي ينال الطالب معرفة عامة، مع التأكيد علي الهدف، وهو اكتشاف محبة اللَّه الفائقة والتمتع بعمله الخلاصي. اهتمت المدرسة أن تضم غير المسيحيين لكي تكشف لهم بروح الحب والتعقل حاجتهم العملية إلى مخلص العالم.

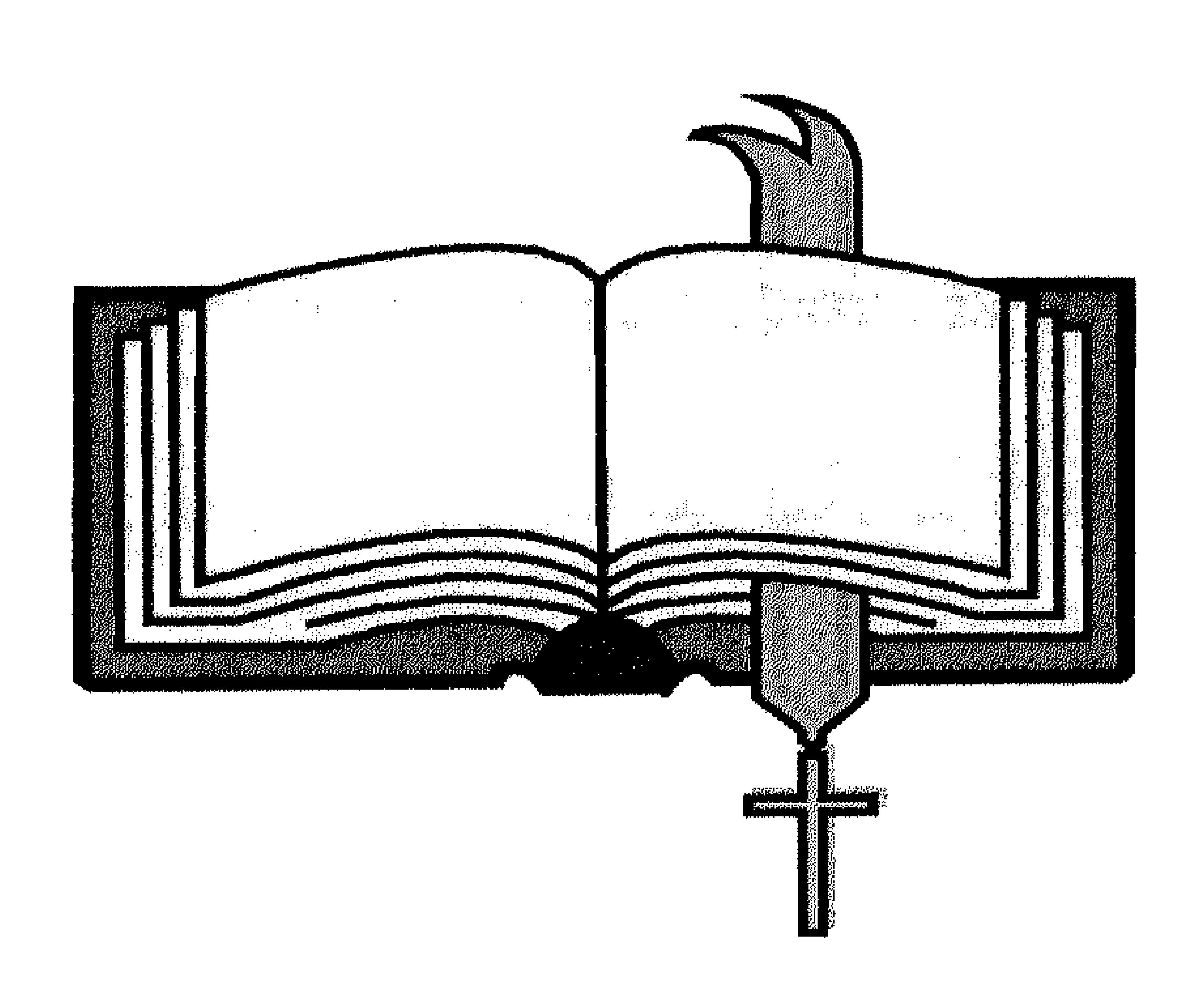
المستوي الثاني: دراسات خاصة بالسلوكيات المسيحية، فالمدرسة تسعى أن يصير الكل أيقونة السيد المسيح. فلا يكفي للإنسان أن يولد ميلادًا جديدًا، إنما يلزمه أن ينمو بغذاء الروح.

المستوي الثالث: دراسات خاصة بالحكمة المسيحية والمعرفة الروحية الفائقة فالإيمان لا يعني احتقار المعرفة أو تجاهل العقل الذي

وهبنا اللَّه إيّاه. اللَّه الحكمة يُقدم ذاته لكي تنمو في الحكمة السماوية.

لقد بدأت المدرسة بجذب غير المؤمنين إلي الإيمان، وتعليم الموعوظين طالبي العماد حتى ينالوا سرّ العماد. ثم فتحت قسمًا أعلي فيه يتدرب الطلبة علي الحياة المسيحية السامية، حيث ينمو المؤمنين في القامة. وأخيرًا فتحت قسمًا ثالثًا لتدريس الفلسفة المسيحية، ودراسات عميقة في الكتاب المقدس واللاهوت المسيحي العملي.

كان هدف المدرسة جذب الوثنيون واليهود إلي الإيمان المسيحي، ومساعدة المسيحيين علي فهم المسيحية حتى يكتشفوا الأسرار الإلهية".



دعوة الإمبراطور للإيمان

سأل مارك: "من هو أول عميد مشهور للمدرسة؟"

أجاب أندرو: "ظهر عُمداء كثيرون مشهورون منذ القرنين الأول والثاني، ولعل أول العمداء المشهورين هو أثيناغوراس".

سأل مارك: "وما هي سرّ شهرته؟"

أجاب أندرو: "أولاً عندما لاحظ أن الإمبراطور الروماني مرقس أورليوس أنطونيوس (سنة ١٦١-١٨٠م) يكره المسيحيين ويهاجم المسيحية، هو وابنه كومودوس الذي كان شريكًا معه في الحكم كتب لهما "توسلاً عن المسيحيين" دافع فيه عن الإيمان المسيحي وعن سلوك المسيحيين وحبهم للأباطرة وصلواتهم عنهم، بل وبكل رقة دعا الإمبراطورين للإيمان المسيحي ".

سأل مارك: "كيف تجاسر ودعا الإمبراطورين الوثنيين اللذين كانا يكرهان المسيحية أن يقبلا الإيمان المسيحي؟"

أجاب أندرو: "كانت قلوب عُمداء المدرسة مُحبة لكل البشر، فكانوا يشتهون أن يتمتع الكل من أباطرة وعبيد، رجال ونساء، كبار وصغار بالحياة المسيحية الحقيقية، حتى يكون لهم نصيب في السماء".

سأل مارك: "هل لأثيناغوراس كتابات أخري؟

أجاب أندرو: "كتب مقالاً عن قيامة الجسد، وأوضح أن اللّه خلق

الجسد لكي يتمتع بالمجد السماوي. وكما يشترك الجسد مع النفس في الجهاد في العالم، يشترك الاثنان في الإكليل السماوي".

وإذ طال الحديث بين مارك وأندرو عن المدرسة كانت المفاجأة أن قدم أندرو لمارك كتابا للفتيان عن "مدرسة الإسكندرية"، ففرح مارك بهذه الهدية القيمة.

سأل مارك: "لقد حدثتني عن قادة عظماء لمدرسة الإسكندرية في القرن الثاني، فهل يمكنك أن تخبرني عن يد المسيح العاملة في حياتهم وخلال دراساتهم؟"

أجاب أندرو: "سأخبرك عن الفيلسوف أثيناغوراس هذا كان يكره المسيحية ويقاومها. بدأ يقرأ الكتاب المقدس لينتقده ويهاجم به الإيمان المسيحي. أمسكت يد السيد المسيح به، وبروحه القدوس قبل الإيمان المسيحي وصار مدافعًا عنه وعن المسيحيين. **لم يخلع زيّ الفلسفة بل كان يرتديه حتى يجتذب الفلاسفة الوثنيين للإيمان المسيحي.**

في شجاعة مع محبة كما قلت لك كتب رسالة دفاع عن المسيحية والمسيحيين عام ١٧٧م للإمبراطورين، كما سجل أول مقال للدفاع عن القيامة من الأموات في ٢٥ فصلاً.

كان مارك يتابع حديث أخيه عن مدرسة الإسكندرية وعلمائها في القرن الثاني، وفي الختام علق علي ذلك بقوله: "**حقًا لا يمكن فصل الكنيسة عن المدرسة، ولا المدرسة عن الكنيسة. فالإيمان والمعرفة لا ينفصلان وإلا فقد كل منهما رسالته**".

الفيلسوف الرحالة

في اليوم التالي من وصولهما إلى القاهرة قال مارك لأخيه: "لقد قضيت اليوم كله أفكر في مدرسة الإسكندرية المسيحية الأولي لقد أُعجبت بالكتاب الذي قدمته لي هدية. لقد تعجبت يا أخي كيف ضمت هذه المدرسة من الشبان والشابات والرجال والنساء، ليدرس الكل معًا، لقد كان فكر العمداء متسعًا. كيف ضمّت المدرسة طلبة من جنسيات مختلفة؟ بلا شك كانت قلوب العمداء مفتوحة لكل إنسان! ما أدهشني أنه لم يكن للمدرسة مبنى، بل أينما حلّ المدرس التف حوله التلاميذ كأبناء محبوبين لديه، يكادوا يقضون اليوم كله معهم. لقد كان العمداء واغلب الطلبة غير متزوجين، فهل كانوا يطمعون في أن يختار أحد منهم ليكون بابا الإسكندرية؟"

أجاب أندرو: "لا يا مارك. لقد كان الشعب كله يحب عميد المدرسة بكونه الرجل الثاني بعد البابا، وكان من يقبل البابوية أو التدريس في المدرسة يعد نفسه للاستشهاد. في كل مرة يحلّ الاضطهاد تتوجه أنظار الوالي إلى البابا وإلى عميد المدرسة".

"أما كان البابا أو العميد يخشى الموت؟" سأل مارك.

ابتسم أندرو وهو يقول: "كان شهوة قلب كل منهم أن يموت من أجل المسيح، إن اختفوا أحيانا إنما لمساندة المؤمنين. في القرن الثاني حين أُلقي القبض علي ليونيدس والد أوريجينوس، وكان أوريجينوس شابًا صغيرًا كتب لوالده بأنه إن تراجع عن الإيمان لن يكون أبًا له. وحين صار

أوريجينوس عميدًا للمدرسة وهو في الثامنة عشر من عمره تلمذ كثيرين، منهم من استشهد قبل أن ينال سرّ العماد".

قال مارك: "أندرو، بالأمس تحدثت معي عن ذاك الفيلسوف البطل الذي كتب للإمبراطورين في روما يدعوهما بكل رقة للإيمان المسيحي، هل صار له تلاميذ عظماء مثله؟ منْ منَ الفلاسفة كسبهم أثيناغوراس؟"

أجاب أندرو: "القديس بنتينوس من رجال القرن الثاني الذي كان رُواقيًا[1] مشهورًا. لقد جال في بلاد كثيرة وتنقل بين الدول، وأخيرًا جاء إلى الإسكندرية والتقى بالفيلسوف أثيناغوراس. استعذب حديثه واعتنق المسيحية وتتلمذ علي يديه، بل وصار عميدًا للمدرسة عام ١٨١م. كان رجل علم وفكر متفتح. لم يهاجم الفلاسفة ولا الفلسفة، وكان يرتدي ثوب الفلاسفة وهو يدرس، وجذب فلاسفة كثيرين للإيمان بالسيد المسيح، فقد كان بالحق متفتحًا أكثر من لاهوتيين معاصرين.

أولاً: أدخل الأبجدية القبطية مستخدمًا الحروف اليونانية، وقد أضاف إليها سبعة حروف من اللّهجة الديموقراطية القديمة.

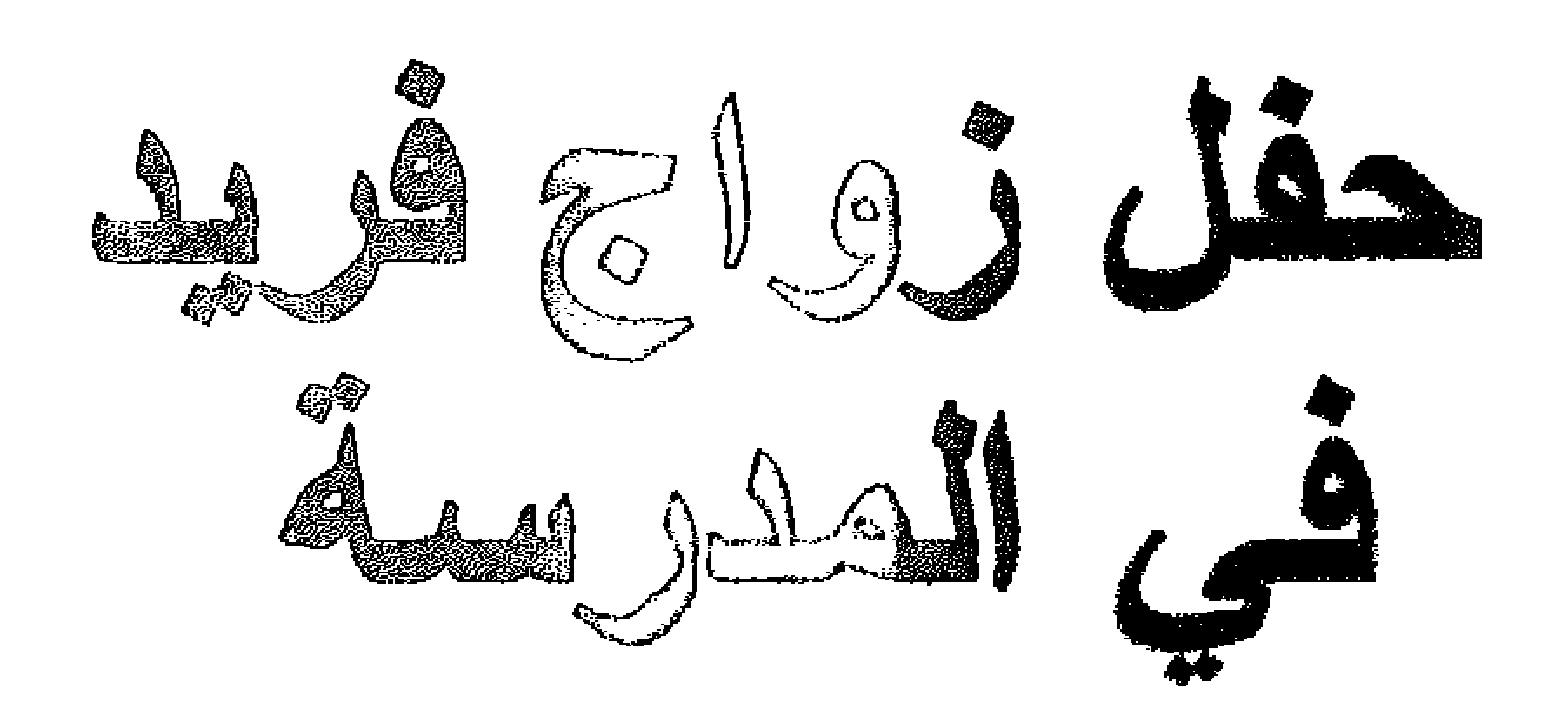
ثانيًا: كان يحب الكتاب المقدس جدًا، واشتهي أن يقرأ كل مصري هذا الكتاب. لذلك كوّن فريقًا قام بترجمة الكتاب المقدس كله إلي القبطية كما ترجم كثير من الكتابات المسيحية.

ثالثًا: سجل تفسيرًا لأسفار الكتاب المقدس بعهديه، وإن كان قد فُقد.

رابعًا: أرسله البابا ديمتريوس عام ١٩٠م إلي الهند ليكرز هناك. عاد ومعه نسخه من إنجيل متي مكتوبًا بالعبرية.

---

[1] كان الأبيقوريون يعتقدون بوجود آلهة بالاسم فقط لا سلطان لهم على العالم وسكانه، وأن الخير هو في إشباع الشهوات الجسدية.



حفل زواج فريد في المدرسة

في اليوم التالي كان مارك يتعجل أخاه ليتحدث معه عن عمداء مدرسة الإسكندرية. تساءل: "وهل قدم القديس بنتينوس أحدًا من الفلاسفة لخدمة التعليم المسيحي؟"

أجاب أندرو: "يكفي أنه قدم لنا القديس إكليمنضس أب الفلسفة المسيحية الإسكندرانية. لقد عرفت يا مارك الكثير عن مدرسة الإسكندرية وعن عمدائها الأبطال خاصة العلامة أثيناغوراس وتلميذه بنتينوس، وعرفت القليل عن تلميذه القديس إكليمنضس السكندري.

كان إكليمنضس دائم البحث عن اللَّه، حتى بعد اعتناقه المسيحية، قام برحلات باهظة يبحث عن معلم يتتلمذ علي يديه. أخيرًا اجتذبته أحاديث بنتينوس وتتلمذ علي يديه. سيم كاهنًا بالإسكندرية، وإذ سافر أستاذه للّهند تسلم رئاسة المدرسة إلى حين عودته. وبعد نياحة أستاذه تسلم رئاستها من جديد. أثناء اضطهاد سبتيموس حوالي عام ٢٠٢ اضطر إلي مغادرة الإسكندرية فلجأ إلي فلسطين وسوريا وتنيح هناك عام ٢١٥.

إنه أول كاتب مسيحي في العالم أكد أنه لا عداوة بين المسيحية والفلسفة".

ظهرت علامات الفرح علي أندرو حين بدأ يُحدث مارك عن هذا

القديس. لقد قال له: "أتعرف يا مارك ماذا فعل هذا القديس؟ لقد أقام حفل زفاف في المدرسة؟"

في دهشة تساءل مارك: "وهل هذا عمل عميد المدرسة؟ هل هو كاهن؟ وهل بالمدرسة كنيسة وشمامسة ليقيم حفل زفاف؟"

أجاب أندرو: "لقد أقام القديس حفل زفاف فريدًا في نوعه. ففي أيامه ظهر رجل يُعلم الدين (اللاهوت) في كنيسة الغرب يُدعي العلامة ترتليان. كان يقول بأن الفلسفة ضد الدين، والفلاسفة أعداء المسيحيين، أما في الإسكندرية فوقف إكليمنضس بين طلبته يقول بأن اللَّه **أعطي الوثنيين الفلسفة لكي تقودهم إلي الإيمان**. كما قدّم الناموس (العهد القديم) لليهود كي يعرفوا السيد المسيح، وهب الأمم الفلسفة لكي يعرفوا من خلالها شخص المخلص. لقد أصر كمعلمه القديس بنتينوس ألا يخلع ثوب الفلسفة، وهكذا **أقام حفل زفاف بين الإيمان المسيحي والفلسفة**. لقد كسب كثير من الفلاسفة للإيمان المسيحي".

سأل مارك: "ما هي أهم مبادئ هذا القديس؟"

أجاب أندرو: "قدم لنا هذا القديس الفيلسوف ثلاثة مبادئ هامة: المبدأ الأول: **اللَّه الكلمة يحب كل البشرية نزل إليهم وصار إنسانًا، لكي نصعد إليه بروحه القدوس ونشاركه مجده السماوي!**"

دُهش مارك: "يا لمحبة اللَّه العجيبة، أيريدني أصعد إليه وأعيش معه وأشاركه مجده؟ متي يتحقق لي هذا؟ وكيف؟"

أجاب أندرو: "لا تتعجب يا مارك، فإن المبدأ الثاني للقديس الفيلسوف يطلب منا أن **نتطلع إلى قلبنا فنري مسيحنا فيه**، يريدنا أن نذوق سمواته. لقد قال بأن **عمل المؤمن** أن يدرك أعماقه، **فيعرف اللَّه الساكن**

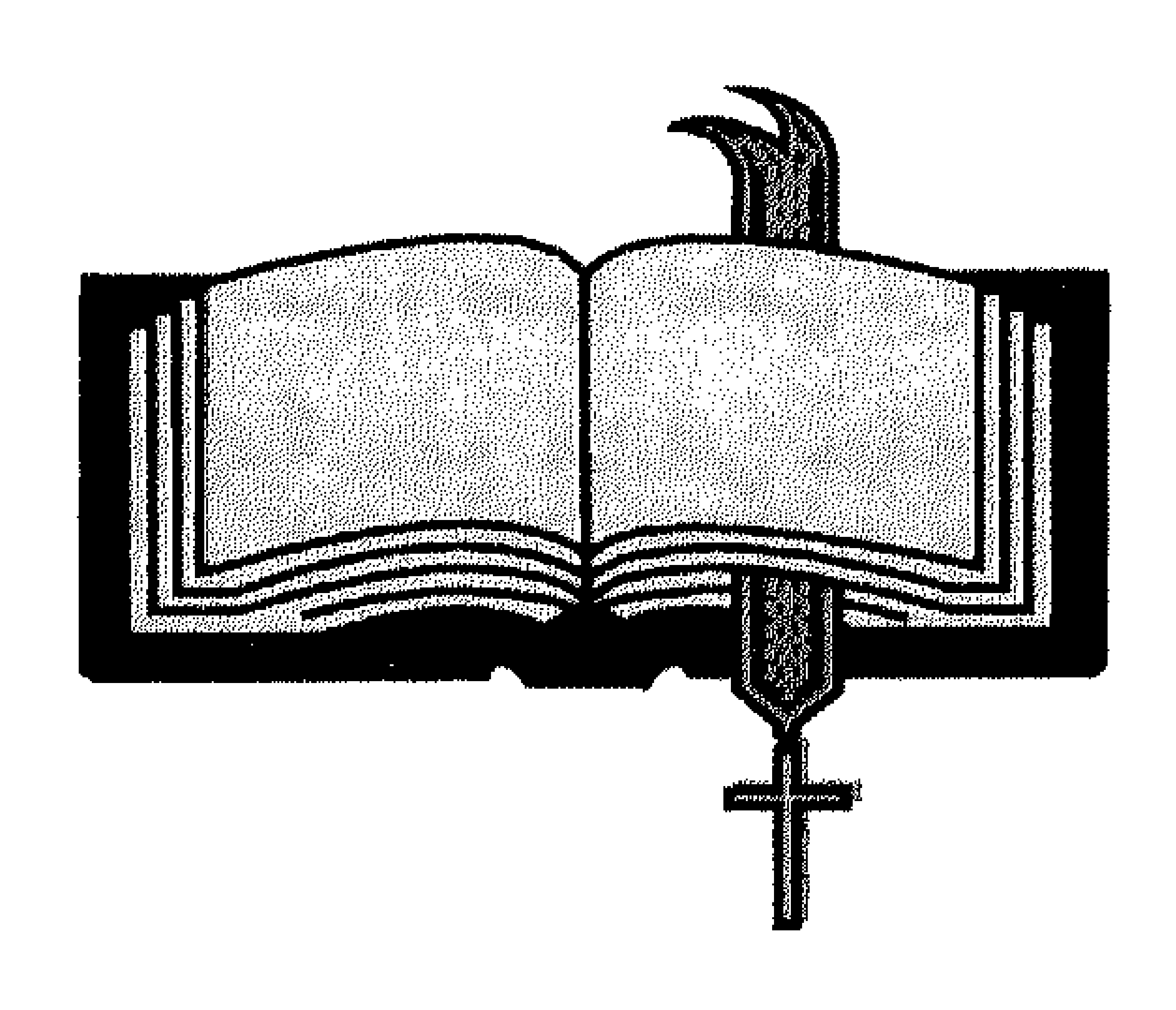
فيه، وإذ نعرفه نتشبه به ونصير صورة له. أما المبدأ الثالث فهو أن العالم كله محتاج إلي يسوع ليكون معلّمًا له. إنه يود أن يخلص الكل بدمه ويرشده حتى يدخل به إلي السماء!"

لقد سجل لنا من بين كتاباته ثلاثة أعمال، تناسب مراحل المدرسة.

١. النصح للوثنيين يدعو البشرية كلها لقبول السيد المسيح، قائلاً: "اسمعوا أيها البعيدون، ويا أيها القريبون، فإن اللوغوس (الكلمة) ليس مخفيًا عن أحد. إنه النور العام الذي يضيء الكل. لم يعد في العالم ظلمة. لنسرع إلى خلاصنا. لنسرع إلى تجديدنا".

٢. المعلم أو "المربّي": يبرز السيد المسيح كمعلم مع التزام المؤمنين بالسلوك المسيحي حتى في طريقه مشيهم. إذ يقبلون الإيمان المسيحي ويرفضون أباطيل الوثنية، تُصلح حياتهم بالوصايا الأخلاقية التي غايتها "التشبه بابن اللّه نفسه".

٣. المتفرقات: أخيرًا يرفع الذين خضعوا للوصايا الأخلاقية إلى المعرفة الكاملة للإلهيات ليتمتعوا بالغنوسية "المعرفة" المسيحية. لم يكن قد وضع هذا العمل في ثوبه النهائي قبل نياحته".



مسيحنا القائد
يدخل بنا إلى
أعماق الكتاب المقدس

أعجب مارك بشخصية القديس الفيلسوف إكليمنضس السكندري، لكن علامات الحيرة ظهرت علي وجهه وهو يقول لأخيه: "لقد سمعت الكثير عن صديقه وتلميذه أوريجينوس. اسمع عنه أنه يدعي أمير شرّاح الكتاب المقدس ، وكان بعض الأساقفة يشتهون أن يسمعوا تفسيره للكتاب، بل وكان بعض الفلاسفة والأباطرة لهم ذات الرغبة. فالبعض يحبه جدًا، والبعض لا يطيق حتى مجرد ذكر اسمه. فما هو وراء هذه الشخصية الغريبة؟"

شارك أندرو أخاه في ظهور علامات الحيرة علي وجهه وهي يقول له: "أنا أعلم أنه من الصعب جدًا أن نقدم تقريرًا صادقًا عن هذه الشخصية، ففي أيامه وُجد قديسون حسبوه عطية عظمي من السماء وآخرون حسبوه سبب متاعب كثيرة للكنيسة. ومع هذا ففي حياته وكتاباته جوانب بطولية طيبة يُمكن أن ننتفع بها.

سأل مارك أخيه: "وما هي هذه الجوانب يا أندرو؟"

أجاب أندرو: "كانت شخصيته عجيبة منذ طفولته. ولد أوريجينوس

سنة ١٨٥م بالإسكندرية. ولُقب "أدمانتيوس" أي "الرجل الفولاذي"، إشارة إلى قوة حُجته التي لا تُقاوم وإلى مثابرته.

اهتم به والده ليونيدس فهذبه بمعرفة الكتاب المقدس؛ وقد أظهر الابن شغفًا عجيبًا في هذا الأمر، إذ يروى عنه يوسابيوس: "تهذب في الأسفار الإلهية منذ الطفولة... لأن والده علاوة على أنه قدّم إليه الثقافة الواسعة العادية، لم يجعل من دراسة الأسفار الإلهية أمرًا ثانويًا، بل كان يطلب منه أن يحفظ جزءً معينًا كل يوم ثم يتلوه عليه. ولم يكن هذا العمل مضنيًا على الولد، إذ كان شغوفًا جدًا بهذه الدراسات. ثم أنه لم يكتف بدراسة الأمور السهلة والواضحة في الأقوال المقدسة، بل كان يطلب المزيد، وكان ينكبْ على التأملات العميقة وهو بعد في هذا السن".

وهو صبي صغير كان يسأل والده أثناء قراءته للكتاب المقدس ولم يكن الأب قادرًا علي الإجابة. وكان في المساء عندما ينام الصبي يكشف الأب صدره ويقبله وهو يقول: في هذا الصدر توجد خزانة الروح القدس.

وفي عام ٢٠٢م أُلقى القبض على ليونيدس ووُضع في السجن، أما أوريجينوس الذي لم يكن بعد قد بلغ السابعة عشر من عمره، فكان يتوق بشغف أن ينال إكليل الاستشهاد مع والده. وفى اللحظة الحاسمة منعته أمه من تحقيق رغبته بإخفاء كل ملابسه حتى يلتزم البقاء في المنزل، ليرعى شئون اخوته الستة، فأرسل إلى أبيه يحثه على الاستشهاد، قائلاً: "احذر أن تَغير قلبك بسببنا!"

وفي الثامنة عشر من عمره صار عميدًا لمدرسة الإسكندرية وقد حفظ الكتاب المقدس بعهديه عن ظهر قلب.

كان يعشق الكتاب المقدس فيقضي أغلب الليل يقرأ فيه وهو راكع يصلي، وأغلب النهار يفسره لتلاميذه. كان يفسره بطريقة روحية شيّقة

جذبت الكثيرين. وقد قام برحلات عدة إلي روما وبلاد العرب وفلسطين، لا هدف له فيها إلا أن يتمتع كل أحد بعذوبة الكتاب المقدس. كان يرى في الكتاب المقدس رحلة النفس من الأرض إلي السماء لتتمتع بقبلات عريسها السماوي. وقد فسّر الكتاب المقدس كله بعهديه.

غضب عليه البابا ديمتريوس لأنه كان يعظ في حضور أسقف فلسطين وأسقف أورشليم، ولما سيم هناك كاهنًا، حرمه لأنه لا يجوز سيامة خصي[1] كاهنًا، ولأنه قبل السيامة من أسقف خارج بلده. أما هو فترك الإسكندرية وانشأ مدرسة في فلسطين.

وضع الكتاب المقدس بلغاته الأصلية وترجماته في ستة أنهر، وأحيانًا تسعة أنهر حتى يمكن للدارس أن يقرأ العبارة الأصلية وترجماتها المختلفة في ذلك الحين.

كان يؤمن بأن لكل مؤمن يخاف اللّه ملاك مرسل لحراسته. فمتي اجتمعت الكنيسة يجتمع ملائكة المؤمنين، وكنيسة أخري غير منظورة مكوّنة من الملائكة، ويشترك السمائيون مع الأرضيين في التسبيح للّه.

سأل مارك أخاه: "لقد سمعت أنه وضع نظامًا لتفسير الكتاب المقدس، فما هو؟"

أجاب أندرو: "إنه يؤمن بثلاث طرق للتفسير:

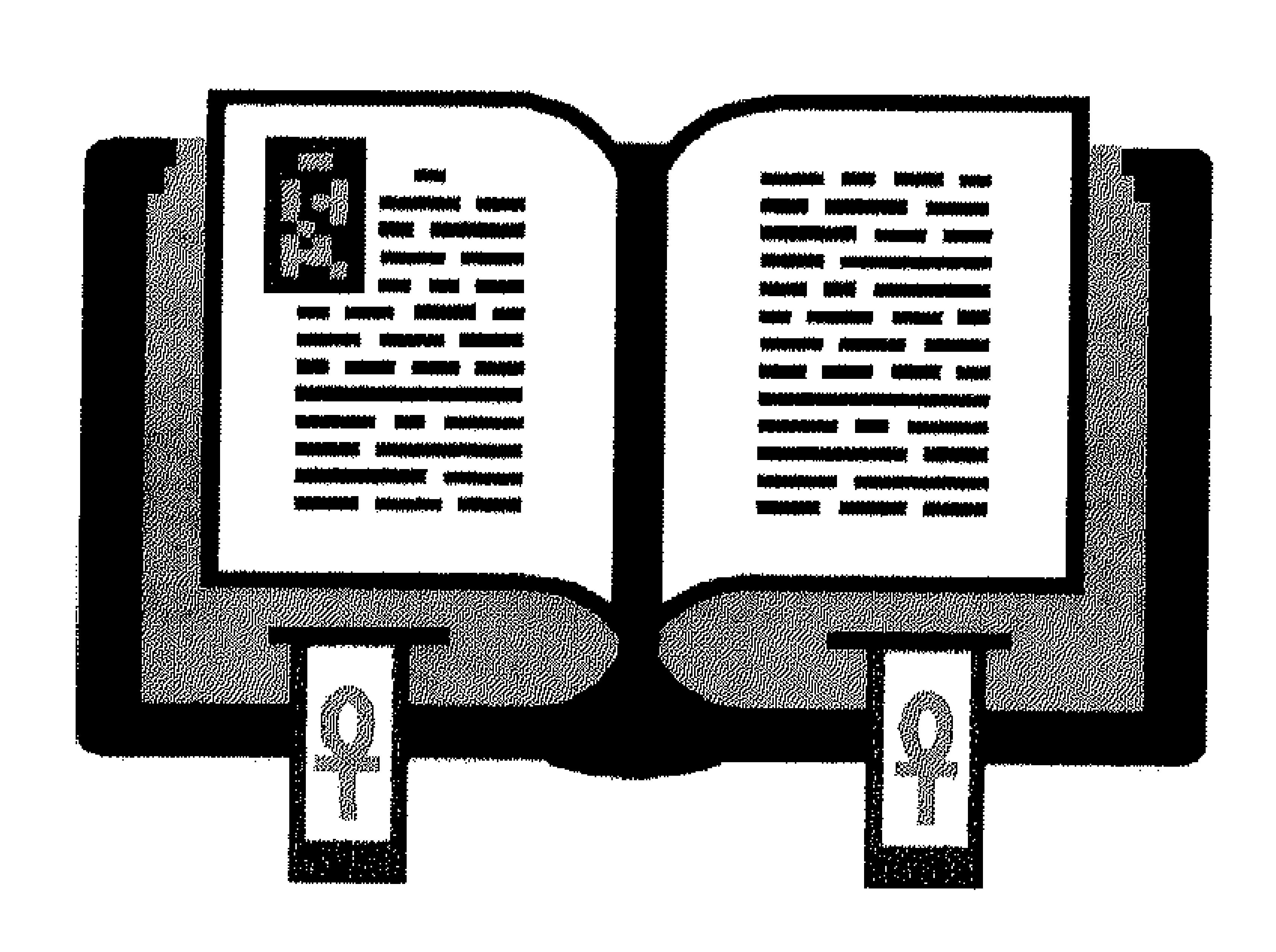
أولا: التفسير الحرفي، حيث نفهم الكتاب المقدس وكل ما ورد فيه من تاريخ وقوانين كما تحمل الكلمات من معني.

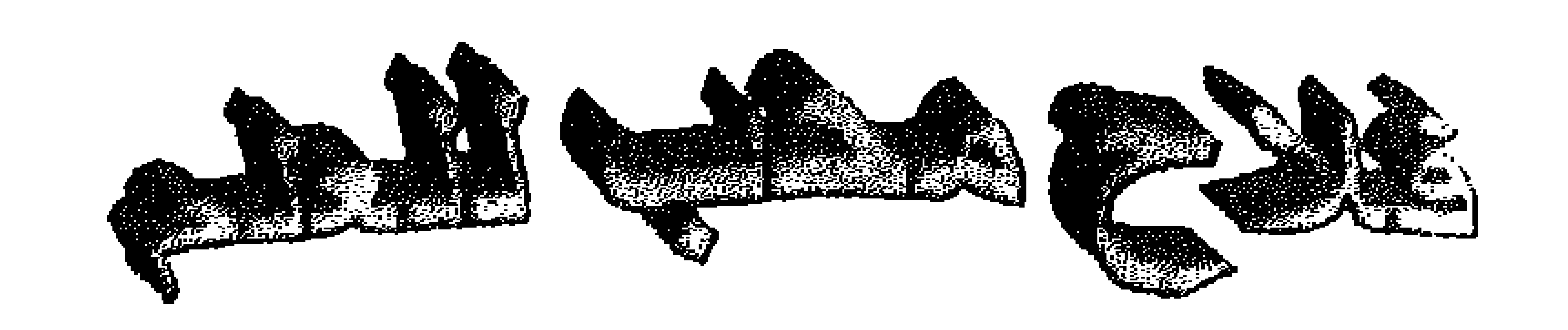
ثانيًا: التفسير الأخلاقي، حيث نفهم الكتاب المقدس ليعلمنا كيف نعيش في سلوك حسن.

[1] هو شخص ذكر تعمل له عملية جراحية فيصير عاجزًا عن الإنجاب إن تزوج.

ثالثًا: التفسير الروحي أو الرمزي، ، نفهم الكتاب المقدس بأنه يكشف لنا أسرار السماء.

كان يؤمن أن السيد المسيح كعريس للنفس يحتضن عروسه ويحملها إلي حجرة عرسه السماوي ويكشف لها أسراره فتفهم أسرار الكتاب المقدس. لذلك يطلب دومًا أن **تمتزج دراسة الكتاب المقدس بالصلاة والحياة التقوية** حتى يعمل المسيح في القلب والفكر، ويفتح الروح القدس البصيرة الداخلية.





سأل مارك أخاه: "وما هو موقف أساقفة الإسكندرية أو باباواتها من مدرسة الإسكندرية؟"

أجاب أندرو: " كان الباباوات والأساقفة يؤمنون بالحاجة إلي المعرفة والعلم بروح التواضع فكانوا قريبين جدًا من عمداء المدرسة. وكثير من عمداء المدرسة صاروا باباوات أو أساقفة الإسكندرية. هل تعرف البابا ديمتريوس الكرام؟ كان فلاحًا بسيطًا اختاره الرب ليكون بابا الإسكندرية وهو متزوج. فكان يجلس عند قدمي معلمه حتى يستوعب العلم، وقد وضع نظام الأبقطي، أي النظام الذي به تحدد الكنيسة عيد القيامة المجيد".

فى دهشة قال مارك: "لدي سؤالان؛ الأول كيف يُختار الشعب بابا الإسكندرية متزوجًا؟ والثاني هل كان أسقف الإسكندرية يُدعى بابا؟"

البابا المتزوج

أجاب أندرو: "من جهة انتخاب القديس ديمتريوس للكرسي المرقسي فإنه لما اقتربت نياحة القديس يوليانوس البابا الحادي عشر، ظهر له ملاك الرب في رؤيا وأعلمه عن هذا القديس، وأنه هو الذي سيصير بطريركًا بعده. وأعطاه علامة بقوله له: **إن الذي سيأتيك بعنقود عنب سيخلفك.** وحدث في الغد أن وجد القديس ديمتريوس عنقودًا من العنب في غير أوانه، فحمله إلى القديس يوليانوس بقصد نيل بركته. فأمسكه الأب البطريرك من يده وقال للحاضرين: هذا بطريرككم من بعدي. وقص على

من كان عنده من الأساقفة والكهنة الرؤيا التي رآها. فلما انتقل البابا السكندري إلى مساكن النور اتفقت كلمة الإكليروس والشعب على انتخاب ديمتريوس راعيًا لهم عملاً بوصية باباهم الراحل. وهكذا أصبح الكرام الخليفة الثاني عشر للقديس مرقس.

احتج بعض الشعب على رسامته بحجة أنه رجل متزوج. ومع أن الرهبنة لم تكن قد قامت بعد، إلا أن فريق من الشعب رأى وجوب حصر الكرسي المرقسي في المتبتلين. ولم يبرر الأنبا ديمتريوس نفسه أمام هذه المجموعة من الناس إذ اعتقد بأن عهده مع زوجته أن يعيشا بتوليين سرّ يجب الاحتفاظ به، وظل على كتمانه إلى أن ظهر له ملاك الرب في حلم ذات ليلة وأعلمه بوجوب إعلان حقيقة أمره جهارًا حتى تهدأ القلوب المضطربة. ففي اليوم التالي طلب الأنبا ديمتريوس من الشعب عدم الخروج من الكنيسة بعد انتهاء الصلاة، ثم أخذ جمرًا ووضعه في إزار زوجته وفي ثوب الكهنوت وطاف الاثنان الكنيسة ولم تحترق ثيابهما. فتعجب الشعب من هذه المعجزة، ثم عرّفهم بعهده مع زوجته وأنهما بتولان رغم أنهما زوجان أمام أعين الناس. فزال من الشعب الشك وهدأت قلوب المتذمرين وتيقنوا طهارة هذا الأب وبتوليته".

بابا الإسكندرية

اكتشف القديس ديمتريوس إمكانيات هيراقلاس "ياروكلاس" الروحية في الكرازة، وقدرته على تعليم الموعوظين، وإرشاد المؤمنين فسامه قسًا فقمصًا، وسمح له أن يعظ في الكاتدرائية. جذب الكثير من الوثنيين إلى الإيمان المسيحي، كما أظهر حبًا فائقًا في خدمته للمؤمنين. وفي عام ٢٢٤م اختير خليفة للقديس ديمتريوس.

احتمل الاضطهاد، فكان يفتقد المدن والقرى في أنحاء البلاد يسند

المؤمنين. وفى زيارته سام حوالي عشرين أسقفًا ليهتموا برعاية شعب اللَّه. وقد أراد الشعب مع الكهنة في مصر، الذين أحبّوه جدًا أن يميّزوه عن بقية الأساقفة فدعوه بالقبطية "بابا" التي تعنى "أب". **وهكذا يعتبر أول مسئول كنسي في العالم المسيحي يحمل هذا اللقب قبل استخدام روما له.**

ترى إيريس حبيب المصري أن هذا اللقب أستخدم من قبل، منذ أيام القديس أنيانوس الذي رسمه القديس مرقس الرسول، وذلك كما ذكر المؤرخ المقريزى.

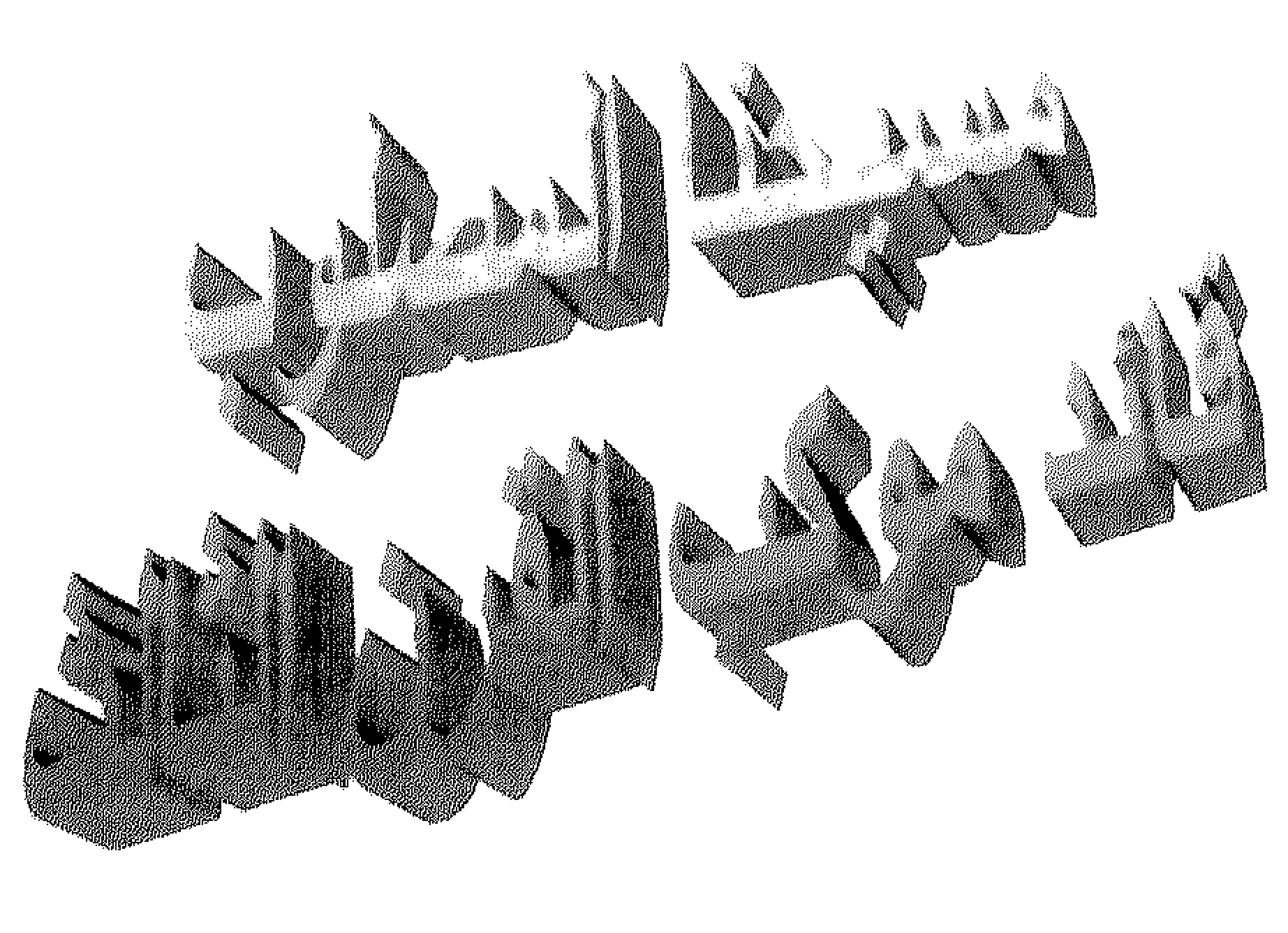
جاء في كتاب الانشقاق: "أما أساقفة عواصم الولايات والأقاليم، أعنى الأولين في المطارنة كانوا يسمون "أساقفة أولين"، غير أنه كان لبعضهم أسماء خاصة أيضًا منذ القديم. فكان أسقف إنطاكية يسمى "بطريركًا"، وأسقف إسكندرية "بابا"، وأسقف روما "أسقفًا"، أو "أسقف المدينة" أو "حبرًا"، وأحيانًا يسمى "بابا".. أما كلمة "بابا" فمن الواضح أنها ليست كلمة لاتينية ولا غربية بل هي شرقية محضة. وأول من سُمى بها أسقف الإسكندرية من أبناء إيبارشيته في القطر المصري في الإسكندرية عينها.

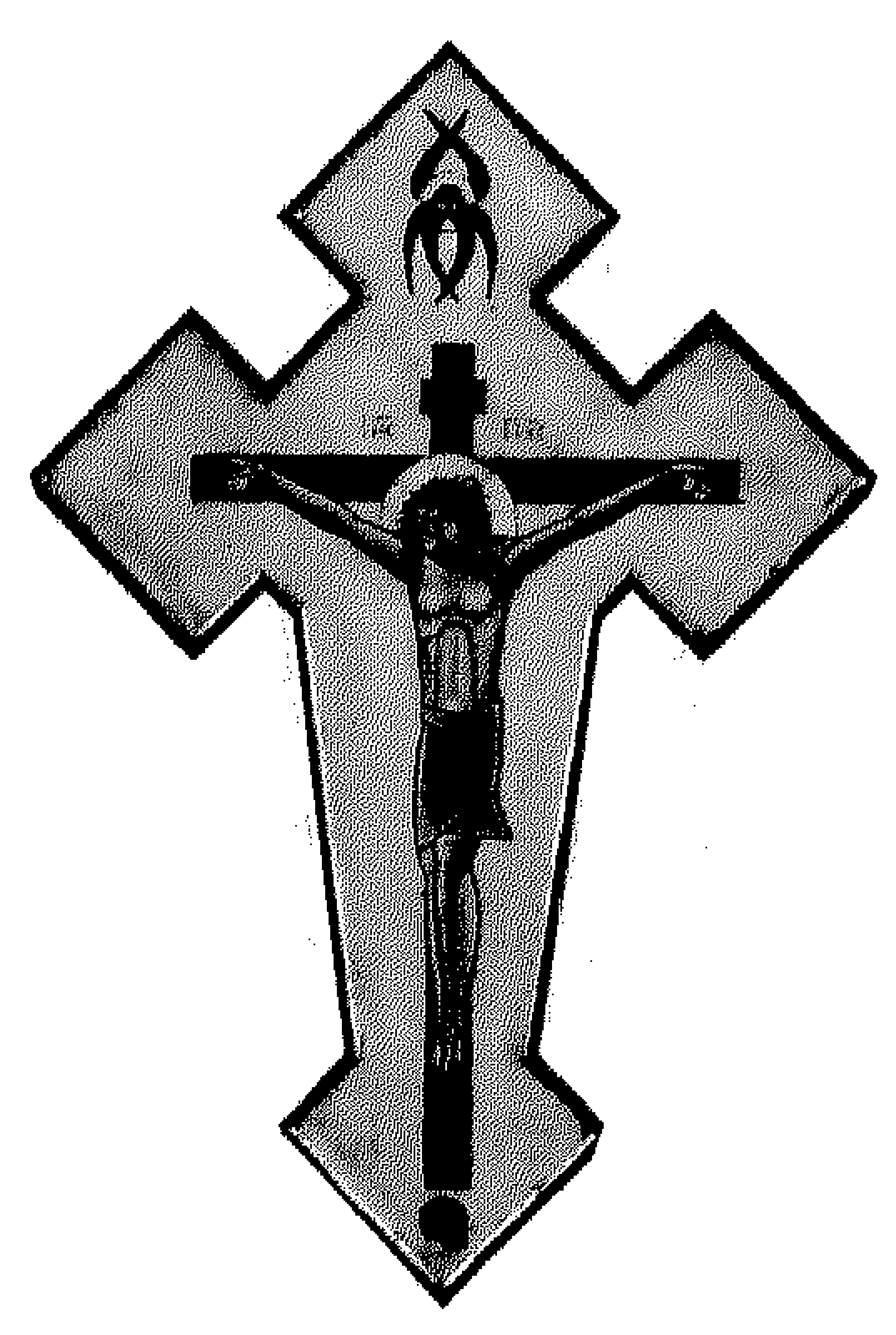
امتد لقب بابا من الإسكندرية إلى قرطاجنة قبل روما بدليل أن كرنيليوس أسقف روما كتب بعض رسائله بعث بها إلى كبريانوس أسقف قرطاجنة في منتصف القرن الثالث: "السلام من كرنيليوس إلى البابا كبريانوس"، ومن ثم امتد هذا اللقب إلى روما في القرن الخامس. وفى القرن الحادي عشر عقد غريغوريوس السابع أسقف روما مجمعًا مكانيًا حرم فيه كل أسقف يطلق على نفسه أو غيره لقب بابا، حاصرًا هذا اللقب على أسقف روما وحده".

مسيحنا

في تاريخ الكنيسة القبطية

٣





مسيحنا
هو عيدنا الدائم

قال مارك: "الآن رأيت كيف سمح السيد المسيح بميلاد كنيسته في مصر في القرن الأول، ونمت في القرن الثاني خاصة في العلم والمعرفة بروح التواضع، فما هي أهم أعمال السيد المسيح في القرن الثالث كقائد للموكب؟"

أجاب أندرو: "لعل أهم سمة للقرن الثالث هي موكب الشهداء تحت قيادة المسيح الذبيح، ففي حكم دقلديانوس قدمت مصر أعدادًا لا حصر لها من الشهداء. وقد حسب الأقباط هذا القرن أنه قرن ذهبي، وأصروا أن يبدأ تقويمهم ببدء بحكم دقلديانوس عام ٢٨٤ م ويدعوه "تقويم الشهداء". وفي حوالي الحادي عشر من سبتمبر يحتفل الأقباط بعيد النيروز كبدء العام القبطي.

صمت مارك قليلاً ثم هزّ رأسه وهو يقول: "لقد عرفت أن كلمة "نيروز" فارسية معناها "بدء السنة".

قال أندرو: "إلي وقتٍ قريب كنت أظن ذلك، لكننا لو حللنا الكلمة لغويًا لعرفنا أنها كلمة قبطيةً معناها "بركة الأنهار". ففي سبتمبر يصلي المصريون لكي يبارك الرب مياه النيل، وقد اقتبسها الفارسيون عن

المصريين.

سأل مارك: "ولماذا نبدأ السنة بتذكار الشهداء؟"

أجاب أندرو: "تبدأ السنة متهللين بعيد الشهداء ونبقى في عيدٍ مفرحٍ حتى عيد تكريس كنيسة الصليب حوالي ٢٧ سبتمبر.

فعيد الشهداء مرتبط بالصليب، نرى المسيح المصلوب في حياتهم، يشاركونه صليبه، ويشاركهم آلامهم.

نبدأ السنة بعيدٍ مفرحٍ؛ ونبقى عمرنا كله في عيدٍ لا ينقطع.

مع بداية كل عامٍ نتذكر أن كنيستنا أيقونة للسماء لا تقدر آلام العالم أن تحطم فرحها السماوي".



قائد موكب الشهداء

سأل مارك: "**هل بدأ الاستشهاد في مصر في القرن الثالث؟**"

أجاب أندرو: "في القرن الأول استشهد مارمرقس علي أيدي الغوغاء من الوثنيين وكان الحاكم مستطيبًا للموقف.

وفي القرن الثاني استشهد أيضا كثيرون، وتعرضت مدرسة الإسكندرية للغلق، وكانت تهيئ حتى الموعوظين للاستشهاد.

أما في القرن الثالث فقد أصدر ديسيوس سنة ٢٥٠م لكل الولاة أن يعيدوا إحياء الديانة الوثنية. أما في مصر فغالبًا ما بدأ الاضطهاد قبل صدور المنشور واستشهد الآلاف في المدن والقري.

وفي عامي ٢٥٧، ٢٥٨م أصدر الإمبراطور فاليريان منشورين لتحطيم الكنيسة. فألقي القبض علي القيادات الكنيسة بمصر وقرطاجنة (شمال غرب أفريقيا)، ونُفي البابا ديونسيوس السكندري في عهد دقلديانوس أعلن لقيوس دوميتوس دومتيانوس وهو قائد روماني بالإسكندرية أنه إمبراطور. في الحال جاء دقلديانوس بنفسه إلي ساحل مصر واستولي علي الإسكندرية وأمر بطرد كل جندي لا يقدم ذبائح لآلهة الرومان. وفي العام التالي أصدر دقلديانوس مرسومه ضد المسيحيين وقد شدد علي مصر إذ اعتقد أن رأس الحية في مصر، إن سُحقت أمكن محو المسيحية في كل الإمبراطورية".

سأل مارك: "**لماذا شدد الأباطرة الاضطهاد علي كنيسة**

الإسكندرية؟"

أجاب أندرو: "أولاً بسبب نجاح مدرستها، إذ جذبت حتى الفلاسفة للإيمان.

ثانيًا كانت مصر مصدرًا هامًا لمد العاصمة الرومانية بالغلال، فكان الأباطرة يخشون استقلالها.

ثالثًا شجاعة مسيحي مصر ورغبتهم الصادقة في نوال أكاليل الاستشهاد، مما حيَّر الولاة والقضاة بل والأباطرة أنفسهم".

سأل مارك: "وما هي مشاعر المسيحي وهو يتألم بل ويموت من أجل الإيمان؟"

أجاب اندرو: "عبَّر أوريجينوس عن مشاعره الخاصة ومشاعر الشهداء الذين عاصرهم وكان علي مقربة منهم، بل وشجع بعض تلاميذه الموعوظين الذين لم ينالوا بعد العماد أن يتقدموا للاستشهاد. لقد قال بأن السيد المسيح هو الذي يسمح لمؤمنيه بالاضطهاد، وهو الذي يتألم فيهم، وهو الذي يقدم لهم الأكاليل، وهو في داخلهم يستلمه. هكذا ما يشغل ذهن الشهيد ليس العذابات ولا الموت وإنما السيد المسيح محبوبه.

كثيرًا ما كان السيد المسيح يرسل ملائكته للشهداء قبل استشهادهم، وأحيانا كان يظهر بنفسه لهم ليعزيهم. لقد ارتبط عصر الشهداء بظهورات سماوية كثيرة في السجون وساحات الاستشهاد. فكان الشهداء يشعرون أنهم ليسوا في سجونٍ مظلمة يترقبون حكم الموت، بل هم في السماء عينها ينتظرون مجيء عريسهم السماوي. لذا تحولت السجون إلى كنائس لا يُسمع فيها غير صوت التسبيح والتهليل، خاصة في ليالي الاستشهاد".

إذ سمع مارك ذلك سأل أخاه أن يروي له سير بعض الشهداء

المصريين. فبدأ أندرو يروي له سير عينات ممتعة من الشهداء.



عذراء تطالب بحقها في التمتع بالاستشهاد

بدأ أندرو حديثه عن الشهداء بعذراء إسكندرانية تطالب بحقها في التمتع بالاستشهاد فقال:

إذ اشتعلت نيران الاضطهاد في أيام الامبراطور دقلديانوس استدعى والي الإسكندرية القديسة ثيؤدورا Theodora. كانت في السابعة عشر من عمرها، اتسمت بجمال ملامحها بجانب تقواها وشرف نسبها. سألها الوالي عن اسمها فأجابت أنها مسيحية، وإذ عرف أنها من عائلة شريفة سألها عن سبب عدم زواجها، فأجابت أنها تفضل خدمة يسوع المسيح.

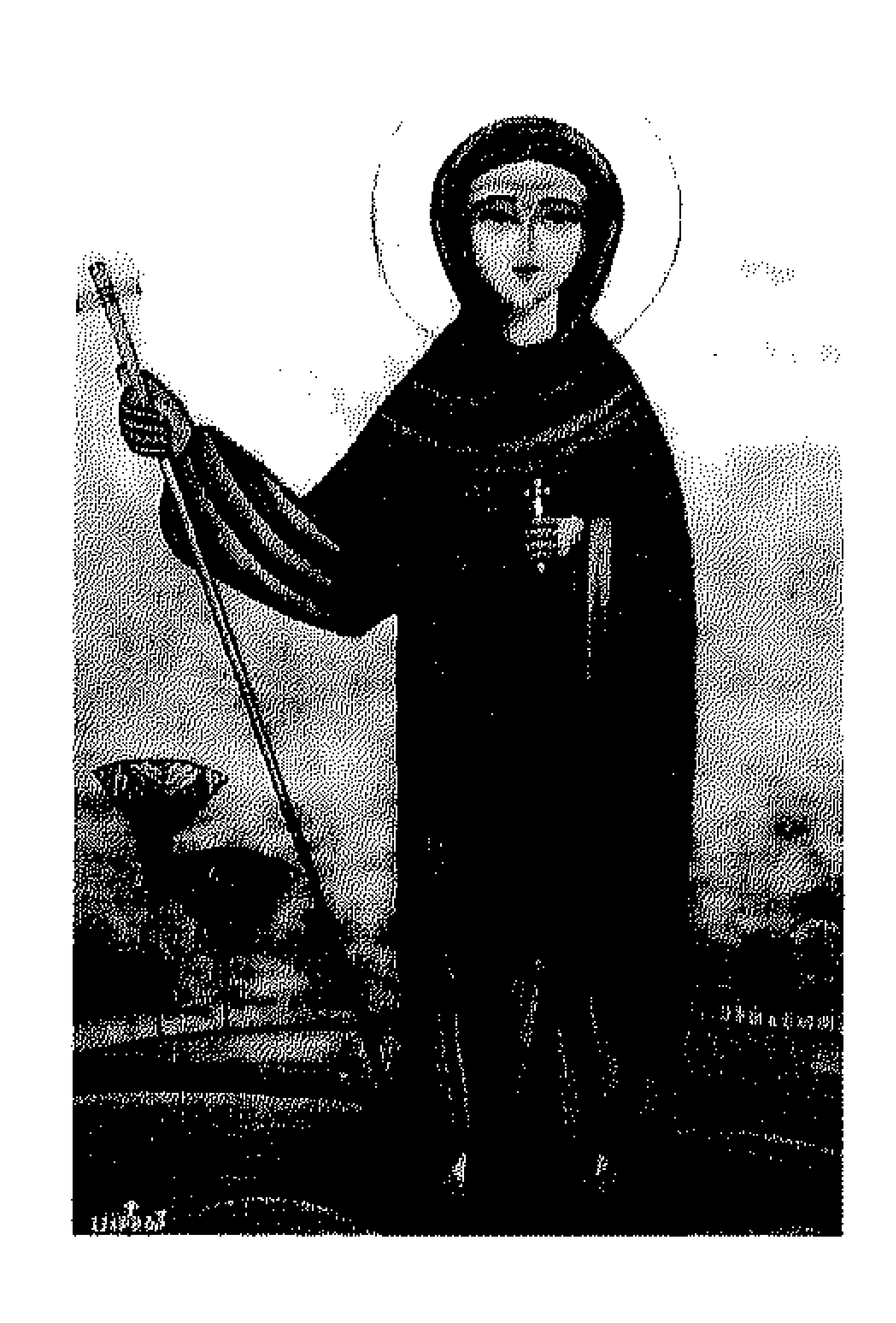
سألها أن تذبح للوثن وتجحد مسيحها وإذ رفضت هددها بإدخالها أحد بيوت الدعارة، أما هي فأجابت أنه لن يستطيع أن يدنس نفسها بالفساد حتى وإن استخدم القهر في الاعتداء على جسدها.

صار يتملقها من أجل جمالها وشرف نسبها لكنها أصرت على الثبات في إيمانها. أعطاها مهلة ثلاثة أيام للتفكير وأخذ قرارها، أما هي فأجابته أنها تثق في الله الذي يسندها ويحفظها.

وإذا دُفعت إلى بيت الدعارة رفعت عينيها وصلت للّه كي يخلصها وإذا بجندي مسيحي شاب يدخل إليها ويطمئنها، سائلاً إياها أن ترتدي

ثيابه وتعطيه ثيابها لتهرب حتى لا يعتدي أحد عليها.

سمع الوالي فحكم بقطع رأسه وحرق جسده، وإذ انطلق به الجند للتنفيذ أسرعت ثيؤدورا **تطالب بحقها في الاستشهاد، فإنها إن كانت قد هربت حتى لا يُفسد أحد عفتها لكنها لا تستطيع أن تحرم نفسها من هذا الإكليل، وبالفعل استشهدت معه.**



الشهيد مارمينا العجايبي

إذ انتهى أندرو من حديثه عن هذه العذراء العجيبة طلب منه مارك أن يروي له قصة الشهيد مارمينا العجايبي، فقال:

نال الشهيد مارمينا العجايبي شهرة لم ينلها أي شهيد مصري سواء في القطر المصري أو خارجه. ولعل السبب في ذلك العجائب الكثيرة التي يجريها الرب بصلواته إلى يومنا هذا.

عائلته

وُلد حوالي سنة ٢٨٥م ببلدة نقيوس مركز منوف محافظة المنوفية. كان والده أودوكسيس Eudouxious حاكمًا للمدينة، وكان جده Plondionus أيضًا حاكمًا. وقد نال أودكسيوس شهرة عظيمة بسبب فضائله وتقواه. حسده أخوه أناطوليوس لأن الجموع كانت تحبه أكثر منه، فوشى به لدى الملك كارينوس.

أراد الملك أن يكسب الاثنين فأرسل قائده هيباتوس Hypatos ومعه أمر تعيين أودكسيوس حاكمًا على مدينة أفريقيا القديمة (الجزائر) عوضًا عن حاكمها الذي كان قد مات. وطلب من القائد أن يرافقه ويطمئن عليه وعلى أسرته، ويُسهل له الطريق في مقره الجديد. حزن شعب نقيوس جدًا عليه، بل وندم أخوه أناطوليوس على ما فعله.

ابن الموعد

اشتاقت أوفيميه زوجة أدوكسيوس العاقر أن يهبها الرب نسلاً

طاهرًا. وكانت تصوم حتى المساء وتقدم صدقات كثيرة للفقراء والغرباء. وفي أحد أعياد السيدة العذراء في ٢١ طوبة في كنيسة العذراء رفعت قلبها المنكسر نحو الرب يسوع وطلبت شفاعة القديسة مريم. وإذا بها تسمع صوتًا من أيقونة الطفل يسوع المسيح وقد حملته والدته يقول لها "آمين". حملت وأنجبت ابن صلواتها الذي قدمه لها السيد المسيح كوعدٍ منه، فدعته مينا أي آمين. ابتهجت المدينة كلها بميلاده وأطلق أودكسيوس كثير من المسجونين، وقدم صدقات كثيرة.

نشأته

اهتم به والده، فهذبه بتعاليم الكنيسة بروح إنجيلية، وغرس فيه محبة الكتاب المقدس والعبادة والسلوك بروح التقوى. مارس حب المعرفة الحقيقية بفكرٍ كنسي تعبدي بورع وتقوى.

مات والده وهو في الحادية عشر من عمره، ثم والدته وهو في الرابعة عشر. ورث عنهما خيرات كثيرة وبركات روحية مع كرامة.

بعد سنة من نياحة والدته عُيّن وهو في الخامسة عشر من عمره ضابطًا في الجيش في فرقة أفريقيا القديمة (الجزائر)، ونال مركزًا مرموقًا لمكانة والده.

رهبنته

التهب قلب مينا الضابط بالجيش بمحبة اللّه الفائقة، فقام بتوزيع أمواله على اخوة يسوع الأصاغر. وإذ اشتهى تكريس كل وقته وطاقاته لحساب مملكة اللّه ترك خدمة الجيش بعد ثلاث سنوات (سنة ٣٠٣م) وتوجه إلى البرية ليتعبد فيها.

صدر منشور من قِبل الإمبراطورين الجاحدين دقلديانوس ومكسيميانوس يأمران فيه بالسجود للأوثان وتقديم قرابين لها.

بعد خمسة أعوام من رهبنته رأى وهو يصلي الشهداء يُكللون بواسطة الملائكة، ويحملونهم إلى الفردوس، وقد صاروا في بهاء أعظم من الشمس. اشتهى القديس مينا أن يصير شهيدًا، فسمع صوتًا من السماء يقول: "**مبارك أنت يا آبا مينا لأنك دُعيت للتقوى منذ حداثتك. فستنال ثلاثة أكاليل لا تفنى ولا تزول... واحد من أجل بتوليتك، والآخر من أجل حياتك النسكية، والثالث من أجل استشهادك هذا.** سيصير اسمك مشهورًا بين الشهداء. لأني أجعل الناس من كل قبيلة ولسان يأتون ويعبدونني في كنيستك التي ستُبنى على اسمك، وفوق ذلك كله ستحصل على مجدٍ لا يُنطق به ومجيد في ملكوتي الأبدي.

في ساحة الاحتفال

ترك القديس مينا البرية وانطلق إلى المدينة في ثيابه الناسكة، وكان ذلك اليوم يوافق احتفال ديني عظيم. تمرّرت نفسه وهو يرى الجماهير الكثيرة في هذا الضياع. تقدم إلى ساحة الاحتفال، وصرخ نحو الجماهير معلنًا اشتياق اللَّه أن يعرف الكل محبته وخلاصه فقال بصوتٍ عالٍ: "وُجدتُ من الذين لم يطلبونني وصرتُ ظاهرًا للذين لم يسألوا عني" (راجع إشعياء ٦٥:‏٢١، رومية ١٠:‏٢٠).

ذُهلت الجماهير لهذا المنظر، وحدث صمت رهيب. حينئذ تساءل الوالي عمّا حدث، وكيف تجاسر هذا الإنسان ليُعطل الاحتفال بعيد الإمبراطور مزدريًا بالأمر الإمبراطوري. أعلن الراهب إيمانه بشجاعة.

تعرف عليه بعض العسكريين وأخبروه عن مركزه القديم. اندهش الوالي لساعته وقال له: "لماذا تركت جنديتك؟ وكيف تعترف أنك مسيحي؟"

أجابه القديس: "إني جندي حقًا، لكنني آثرت أن أكون جنديًا لربي يسوع المسيح".

وضعوه في الهنبازين Hemetarim وكشطوا جسمه حتى ظهرت عظامه. وفي سخرية كان القائد يسأله إن كان قد شعر بالعذاب أم لا. أما هو فأجابه: "**عذاباتكم هي رأسمالي، فهي تَعد لي الأكاليل أمام المسيح ملكي وإلهي**".

سحبوه على أوتادٍ حديديةٍ حادة مدببّة حتى تمزق جسمه، وأخذوا يدلّكون جراحاته بأقمشة خشنة. سلّطوا مشاعل متقدة على جنبيه لمدة ساعتين كاملتين، وقد رفع عنه الرب الألم فلم يتأوه.

ضرب على فمه حتى تكسرت أسنانه، فكان يلهج قلبه بالشكر، حاسبًا أنه غير مستحق أن يُهان من أجل اسمه القدوس.

إذ فشل القائد في إقناعه أرسله إلى الوالي مع رسالة شرح فيها ما حدث، وركب الجند السفينة مع القديس مينا. سمع صوتًا من السماء يناجيه: "**لا تخف يا حبيبي مينا لأني سأكون معك أينما تحل**".

ألقاه الوالي في السجن مع كثيرين فكان يُعزّيهم ويشجعهم. هناك ظهر له السيد المسيح نفسه وعزّاه ثم صعد إلى السماء.

في اليوم التالي استدعاه الوالي إلى مجلس القضاء وأخذ يلاطفه ويتملّقه، وإذ لم يجد حيلة توعده بالموت. أمر بجلده بسيور جلد الثور، وحاول نشره بمنشار حديدي صلب، وإذا بالمنشار يذوب كالشمع. أخيرًا أمر الوالي بقطع رأسه بالسيف. وفي مكان الاستشهاد ركع القديس وصلى رافعًا يديه إلى السماء فضربه السيّاف وتمت شهادته في اليوم الخامس عشر من شهر توت حوالي سنة ٣٠٩م، وكان عمره ٢٤ عامًا.

أوقد الجند نارًا لحرق جسده، لكن بقي الجسد ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ داخل اللّهيب ولم يحترق.

حمله بعض المؤمنين وكفّنوه بأكفان ثمينة ودفنوه بكل وقارٍ.

جسد مارمينا

خرج القائد أثناسيوس ليُحارب البربر الذين كانوا يهاجمون مدينة مريوط، وأصر أن يأخذ معه جسد القديس. وإذ كشف الجنود القبر ظهر نور عظيم فسقطوا على الأرض وسجدوا لإله مارمينا. أخذوا الجسد وأخفوه ووضعوه في مركب قاصدين الإسكندرية ومنها إلى مريوط. وفي البحر هاجمتهم حيوانات مفترسة فخرجت نار من الجسد وانطلقت كالسهام نحوها، فهربت للحال.

إذ وصلوا إلى الإسكندرية، وحملوا الجسد على جمل إلى مريوط هزموا البربر، وعند رجوعهم رفض الجمل القيام والسير معهم بالرغم من الضرب الشديد. نقلوا الجسد على جملٍ آخر أقوى منه فلم يتحرك، وهكذا تكرر الأمر فأدرك القائد أثناسيوس أن هذه إرادة اللَّه أن يبقى جسد القديس في مريوط.

كسيح يكشف عن مكان الجسد (٣٢٠-٣٢٥م)

يذكر لنا البابا يوحنا الرابع أن كسيحًا يسكن في قرية قريبة من مكان الجسد زحف حتى خرج من قريته ورأى مصباحًا منيرًا فأسرع وهو يزحف فبلغ إلى القبر. هناك رقد ونعس، وإذ كان والداه يبحثان عنه وجداه نائمًا. وبينما هما يصرخان في وجهه قام يقفز ويجري يخبر أهل القرية بما رآه. جاءوا إلى القبر فرأوا نورًا يخرج منه. توافدت الجماهير إلى القبر، وكان اللَّه يصنع عجائب كثيرة بصلوات القديس مينا.

شفاء ابنة الإمبراطور

بعد زمن كان أحد الرعاة يرعى غنمه خارج المدينة، وإذا بخروف أجرب نزل في بركة ثم خرج ليتمرغ في التراب فبرئ للحال. بُهت الراعي جدًا فكان يحضر الخراف المريضة يبلها بالماء ثم يُمرّغها في

تراب هذه البقعة فتُشفى.

ذاع الخبر وسمع إمبراطور القسطنطينية بذلك. وإذ كانت له ابنة وحيدة مصابة بمرض الجُزام أرسلها مع حاشيتها إلى مصر لتنال الشفاء من هذا المكان العجيب. في الليل ظهر لها القديس وأخبرها بأن تحفر في ذلك المكان على عمق بعض الأمتار حتى تجد رفاته المقدسة. ففعلت ذلك وبنى والدها كنيسة على اسم القديس وكُرّست في ١٥ بؤونة.

قام القديس أثناسيوس الرسولي (٣٦٣-٣٧٣و) ببناء كنيسة في ذلك الموضع ووضع فيها رفات القديس.

كتب البابا ثاوفيلس (٣٩٥-٤٧٧م) إلى أركاديوس بن ثيؤدوسيوس الكبير يشكوا له من ضيق المكان بسبب كثرة الزائرين فسمع له الملك، وبُنيت كنيسة عظيمة جميلة للغاية ملتصقة بكنيسة البابا أثناسيوس السابقة.

في أيام المُعزّ (١٣٢٠-١٣٣٠م) تزايدت غارات البربر على مدينة الإسكندرية وأعمالها فنُقل الجسد إلى كنيسة مارمينا بفم الخليج بظاهر مصر.

وفي عهد البابا كيرلس السادس نُقل جزء من رفاته إلى موضعه الأصلي، دير مارمينا بمريوط.

العمل الروحي

استشهد القديس مينا وهو في الرابعة وعشرين من عمره، لكن سيرته العطرة وصلواته كانت ولا تزال لها فاعليتها على الكثيرين. ففي بداية القرن الخامس التهبت قلوب كثير من الشبان وباعوا كل شيء وانطلقوا إلى ذلك الموضع المقدس ليمارسوا الحياة الرهبانية.

يشهد التاريخ أن سبعة رهبان من دير مارمينا كرزوا بالإنجيل في

أيرلندا وبنوا أول كنيسة هناك باسم مارمينا. لا تزال الكنيسة الأيرلندية تحتفظ في صلواتها إلى يومنا هذا بصلاة خاصة للآباء الأقباط الذين حملوا إليهم شعلة الإيمان.

بعدما تخرّبت المدينة العظيمة في عصر الدولة العباسية في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر بدأ الدير يزدهر من جديد، وذلك في عصر البابا شنودة الأول. وفي عصر البابا كيرلس السادس تم بناء دير مارمينا الحالي وظهرت حركة الرهبنة فيه من جديد.

آثار مارمينا

يوجد متحف كامل لمارمينا في مدينة فرانكفورت بألمانيا الغربية حيث حمل العلامة الألماني الأسقف كارل ماريا كوفمان الذي اكتشف آثار منطقة مريوط سنة ١٩٠٦/١٩٠٧م ونقل ١٠٠ صندوقًا من الحجم الكبير مملوءة تحفًا بديعة وتيجان الأعمدة الرخامية وغيرها.

تحركت متاحف العالم للاستيلاء على هذه الآثار، لكن كوفمان استولى على أغلبها. ولا يزال بعض الباحثين الألمان بتكليف من المعهد الألماني للآثار بالتعاون مع المتحف القبطي يقومون بعمل حفريات جديدة ودقيقة.

نقل المرحوم بانوب حبشي الكثير من آثار مارمينا إلى المتحف الروماني اليوناني بالإسكندرية ودعاه المتحف القبطي في عصر مارمينا.

حب مسكوني

قلب مارمينا المتسع لمحبة اللَّه يعمل حتى بعد استشهاده. فقد جاء المرضى من كل المسكونة لنوال بركة صلواته ويتمتعون بالشفاء، وكانوا يحملون معهم قنِّينات من الفخّار عليها صورة مارمينا واسمه، وقد وُجدت في بلاد عديدة متباعدة مثل كولونيا وهيدلبرج بألمانيا ومرسيليا بفرنسا

ودلماتا بيوغسلافيا وميلان بإيطاليا ودنجلة بالسودان وأورشليم وفي إنجلترا.

يحتفظ متحف اللوفر بباريس بأيقونة قبطية من القرن الخامس فيها نرى السيد المسيح يضع يده على كتف القديس مارمينا في مودة فائقة. تكشف هذه الأيقونة عن نظرة الكنيسة للقديسين، وهي التعرف من خلالهم على حنو اللَّه الفائق واشتياقه نحو المؤمن ليُقيم معه عهد حب وصداقة على مستوى أبدي.



القديسة رفقة

ظهور الملاك ميخائيل

ترملت هذه السيدة وكانت أمًا لخمسة أبناء: أغاثون وبطرس ويوحنا وآمون وأمونا. وكان موطنهم قامولا مركز قوص بجوار الأقصر محافظة قنا. اهتمت الأم بتربية أولادها في الرب، فالتهبت مشاعرهم بحب اللَّه الفائق. أعلن لهم ملاك الرب في رؤيا أنهم سينالون إكليل الشهادة بشبرا بالقرب من الإسكندرية، وأن أجسادهم ستنقل إلى مقرها بمحافظة البحيرة (وهي جزء من مدينة دمنهور الحالية).

الاستعداد للاستشهاد

كانوا يترقبون بفرح تمتعهم بإكليل الاستشهاد الذي تهيأوا له كل أيام حياتهم. إذ أمر الإمبراطور الجاحد دقلديانوس بهدم الكنائس وحرقه الكتب المقدسة وتعذيب المسيحيون حتى ينكروا الإيمان، جمعت القديسة رفقة أولادها لتحثهم علي الثبات في الإيمان. ذكرتهم بقول الرب: "في العالم سيكون لكم ضيق"، "لا تخافوا من الموت" كما قالت لهم أن أعظم عطية يقدمها الإنسان هي حياته، يقدمها بغير ترددٍ ولا ندمٍ، بل بكل فرحٍ وشجاعةٍ.

وقفت الأم مع أولادها للصلاة والتوسل إلي اللَّه لكي يرحم كنيسته ويثبت شعبه في الإيمان.

بينما كانوا يصلون ظهر لهم ملاك الرب وأعلن لهم أنهم سينالون

إكليل الشهادة علي اسم السيد المسيح. عزّاهم الملاك وبشرّهم قائلاً: "الرب **معكم ويقويكم حتى تكملوا جهادكم، فلا تخافوا الموت، ولا تجزعوا منه، اشهدوا للرب" شعروا بفرح عجيب لا مثيل له".**

الآن وقد حان الوقت فرحوا ووزعوا مالهم على المحتاجين ثم توجهوا إلى ديونيسيوس القائد والي بلدة قوص. إذ طلب الوالي منهم التبخير للأوثان وجحد الإيمان المسيحي صرخوا جميعًا: "نحن مسيحيون، لا نعبد سوى رب السماء والأرض الذي بيده جميع البشر".

حاول القائد إغراءهم بهبات كثيرة، كما هدّدهم بالموت إن اعترفوا باسم المسيح. لكنهم أعلنوا شوقهم نحو الموت ليلتقوا مع محبوبهم المسيح وجهًا لوجه. وهناك اعترفوا بإيمانهم بثبات أمام القائد، الذي عذّبهم عذابًا شديدًا مبتدئًا بأمهم التي أثبتت صبرًا واحتمالاً بل وكانت تشجع أولادها. وهكذا عذب الأبناء الخمسة كلهم، وبسبب ثباتهم وما احتملوه من عذاب آمن كثيرون وأعلنوا إيمانهم واستشهدوا. أما القديسة رفقة وأولادها فوضعهم الوالي في السجن الذي كان محتشدًا بجموع غفيرة من الشعب مع أساقفة وكهنة.

لما كان الابن الأكبر أغاثون هو مقدم بلدته ومحبوبًا من مواطنيه، وبسببه هو وأمه واخوته استشهد كثيرون. فقد أشار البعض على القائد بأن يرسلهم إلى أرمانيوس والي الإسكندرية حيث لا يعرفهم أحد هناك. ولما كان الوالي غائبًا في بلدة شبرا، فقد أُرسلوا إلى هناك. وبعد أن عذبهم عذابًا مؤلمًا بخلع أسنانهم وأُلقيَ جميعهم في السجن، حيث ظهر لهم رئيس الملائكة ميخائيل للمرة الثانية وشجعهم وشفى أجسادهم. وفي الصباح دُهش الجند وكل جمهور الشعب إذ لم يروا علامة واحدة من الجراحات على أجسادهم. صرخت الجماهير تُعلن إيمانها بالرب يسوع، فأمر الوالي بذبح

الجماهير.

وضع الوالي القديسة رفقة وأولادها على أسرّة من حديد وأوقد نارًا تحتهم، ولم يصب أحد منهم بشيء بل أرسل اللّه مطرًا بعد ثلاث ساعات أطفأ النيران، واعترف جمهور غفير بالسيد المسيح واستشهدوا.

لم يتحرك قلب الوالي بل ازداد عنادًا وأمر بتقطيع أعضاء هؤلاء القديسين ووضع خل وجير عليهم. فظهر لهم رئيس الملائكة للمرة الثالثة وأنار حولهم وشفاهم. ألقاهم الوالي في السجن مقيدين بسلاسل فسمعوا صوتًا يقول: "**جهادكم قد اقترب، وها أنا أعددت لكم أكاليل الحياة**".

أمر الوالي بصلبهم منكسي الرؤوس، ثم وضعهم في خلقين (برميل) فانقلب الخلقين بالزيت المغلي على الجنود المكلفين بتعذيبهم فماتوا. بالهنبازين وبإلقائهم في خلقين زيت مغلي، أمر بقطع رؤوسهم وطرح أجسادهم في البحر.

أُعلن لرجل مسيحي ثري من نقرها من أعمال البحيرة، بواسطة رؤيا أن يحفظ هذه الأجساد، فقدم للجند بعض المال وأخذ الأجساد منهم، وحفظها عنده حتى زال الاضطهاد. ومازالت هذه الأجساد الطاهرة في الكنيسة التي بنيت على اسمهم ببلدة سنباط مركز زفتى محافظة الغربية. وكان استشهادهم في اليوم السابع من شهر توت.



وُلدت من أبوين مسيحيين تقيين في أواخر القرن الثالث، كان أبوها مرقس واليًا على البرلس والزعفران، وأحسن تربيتها. بعد فترة انتقلت والدتها.

أمير يطلب يدها

تقدم أحد الأمراء إلى والدها يطلب يدها، وكانت معروفة بتقواها ومحبتها للعبادة مع جمالها وغناها وأدبها. عرض الوالد الأمر عليها، فأجابته: "لماذا تريد زواجي وأنا أود أن أعيش معك؟ هل تريدني أن أتركك؟" تعجب والدها لإجابتها هذه، فأرجأ الحديث عن الزواج. لاحظ على ابنته تعلقها الشديد بالكنيسة مع كثرة أصوامها وصلواتها، ولاحظ حضور كثير من الفتيات صديقاتها إليها يقضين وقتهن معها في حياة نسكية تتسم بكثرة الصلوات مع التسابيح المستمرة.

بناء قصرٍ لها

في سن الثامنة عشر كشفت عن عزمها على حياة البتولية، فرحب والداها بهذا الاتجاه. ولتحقيق هذه الرغبة بنى لها قصرا في جهة الزعفران لتنفرد فيه للعبادة، واجتمع حولها أربعون من العذارى اللواتي نذرن البتولية. فرحت البتول الطاهرة دميانة لمحبة والدها لها التي فاقت المحبة العاطفية المجردة، إذ قدم ابنته الوحيدة ذبيحة حب للَّه.

عاشت القديسة مع صاحباتها حياة نُسكية رائعة. امتزج الصوم بالصلاة مع التسبيح الذي حوّل القصر إلى سماء!

سقوط والدها

في أثناء الاضطهاد الذي أثاره دقلديانوس، ضعف أبوها مرقس وبخر للأوثان. فما أن سمعت دميانة هذا الخبر حتى خرجت من عزلتها لتقابل والدها. طلبت القديسة دميانة من صديقاتها العذارى أن يصمن ويُصلين لأجل خلاص والدها حتى يرجع عن ضلاله. التقت القديسة بوالدها، وفي شجاعة وبحزم قالت له: "**كنت أود أن أسمع خبر موتك عن أن تترك الإله الحقيقي**". صارت تُبكته بمرارة عن جحده لمسيحه مهما كانت الظروف. سألته ألاّ يخاف الموت بل يخاف من يُهلك النفس والجسد معًا، وألا يجامل الإمبراطور على حساب إيمانه وأبديته.

مع حزمها الشديد وصراحتها الكاملة كانت دموع محبتها تنهار بلا توقف، وهي تقول له: "**إن أصررت على جحدك للإله الحقيقي، فأنت لست بأبي ولا أنا ابنتك!**"

قيام مرقس من السقوط

ألّهبت هذه الكلمات والدموع قلب مرقس، فبكى بكاءً مرًا وندم على ما ارتكبه، وبروح الرجاء شكر اللَّه الذي أيقظ قلبه قائلاً: "أشكرك يا إلهي لأنك نزعت ظلمة الكفر عن قلبي. الفخ انكسر ونحن نجونا..." فتركها للوقت وذهب إلى إنطاكية لمقابلة دقلديانوس وجهر أمامه بالإيمان، وندم عما أتاه من تبخير للأصنام.

تعجّب الإمبراطور لتحوّل هذا الوالي المتسم بالطاعة، والذي ترك إيمانه وبخر للأوثان أنه يجاهر بإيمانه بكل قوة. لم يتسرع الإمبراطور في معاقبته بل استخدم محاولات كثيرة لجذبه إليه، وإذ لم يتراجع مرقس ثارت ثائرة الطاغية وأمر بقطع رأسه. وكان ذلك في الخامس من أبيب، في عيد الرسل.

انتشر الخبر في كل الولاية وتهلل قلب ابنته القديسة دميانة، فقد نجا والدها من الهلاك الأبدي ليُشارك مسيحه أمجاده. وفي نفس الوقت حزن الإمبراطور على مرقس، إذ كان موضع اعتزازه وتقديره.

بعد أيام علم دقلديانوس أن السبب في رجوع مرقس إلى الإيمان المسيحي إنما يرجع إلى ابنته دميانة، فأرسل إليها بعض الجنود، ومعهم آلات التعذيب، للانتقام منها ومن العذارى اللواتي يعشن معها. شاهدت القديسة الجند قد عسكروا حول القصر وأعدوا آلات التعذيب، فجمعت العذارى وبروح النصرة أعلنت أن الإمبراطور قد أعد كل شيء ليُرعبهم، لكن وقت الإكليل قد حضر، فمن أرادت التمتع به فلتبقِى، وأما الخائفة فلتهرب من الباب الخلفي. فلم يوجد بينهن عذراء واحدة تخشى الموت. بفرحٍ شديدٍ قُلن أنهم متمسكن بمسيحهن ولن يهربن.

شركة آلام مع المسيح

التقى القائد بالقديسة وأخبرها بأن الإمبراطور يدعوها للسجود للآلهة ويقدم لها كنوزًا كثيرة ويُقيمها أميرة عظيمة. أما هي فأجابته: "أما تستحي أن تدعو الأصنام آلهة، فليس إله سوى رب السماء والأرض. وأنا ومن معي مستعدات أن نموت من أجل اسمه".

اغتاظ القائد وأمر أربعة جنود بوضعها داخل الهنبازين لكي تُعصر. وكانت العذارى يبكين وهنّ ينظرن إليها تُعصر. أُلقيت في السجن وهي أشبه بميتة، فحضر رئيس الملائكة ميخائيل في منتصف الليل ومسح كل جراحاتها.

في الصباح دخل الجند السجن لينقلوا خبر موتها للقائد، فكانت دهشتهم أنهم لم يجدوا أثرًا للجراحات في جسمها. أعلنوا ذلك للقائد فثار جدًا وهو يقول: "دميانة ساحرة! لابد من إبطال سحرها!" إذ رأتها الجماهير

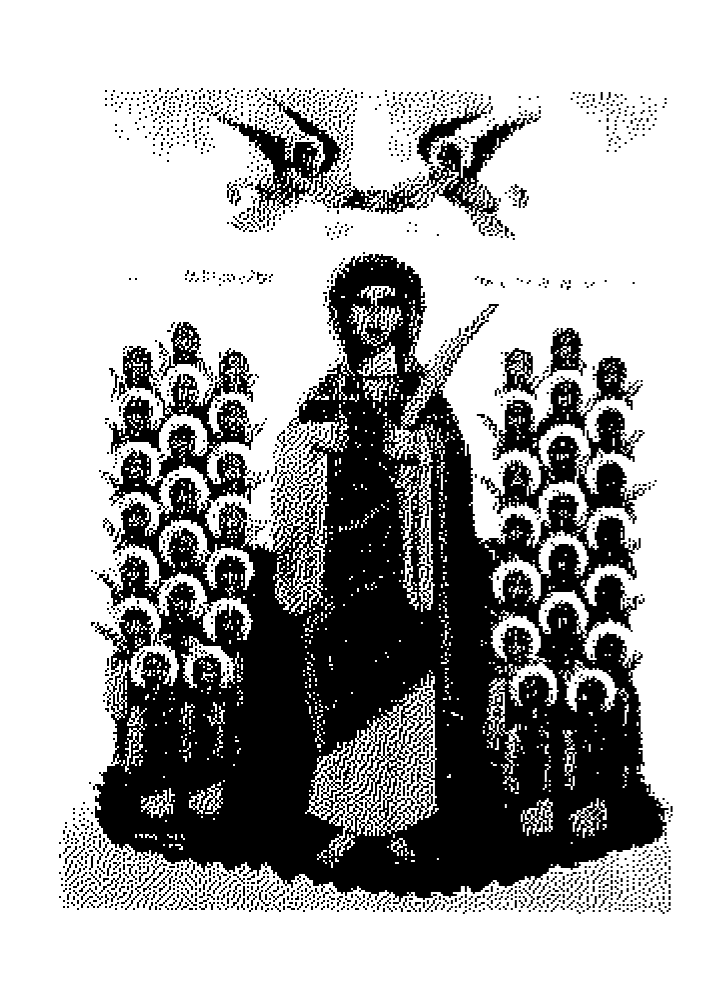
صرخوا قائلين: "إننا نؤمن بإله دميانة"، وأمر القائد بقتلهم.

ازداد الوالي حنقًا ووضع في قلبه أن ينتقم من القديسة بمضاعفة العذابات، حاسبًا أنها قد ضلَّلت الكثيرين.

أُلقيت في السجن، وفي اليوم الثاني ذهب القائد بنفسه إلى السجن حاسبًا أنه سيجدها جثة هامدة، لكنه انهار حين وجدها سليمة تمامًا، فقد ظهر لها رئيس الملائكة ميخائيل وشفاها.

في ثورة عارمة بدأ يُعذبها بطرق كثيرة لكن حمامة بيضاء نزلت من السماء وحلّقت فوقها فصارت القديسة معافاة.

كلما حاول القائد تعذيبها كان الرب يتمجد فيها. أخيرًا أمر بضربها بالسيف هي ومن معها من العذارى، فنلن جميعًا أكاليل الشهادة. وقبل أن يهوي السيف على رقبة القديسة دميانة قالت: "إني أعترف بالسيد المسيح وعلى اسمه أموت وبه أحيا إلى الأبد". وكان ذلك في ١٣ طوبة.





وُلدت القديسة كاترين من أبوين مسيحيين غنيين بالإسكندرية في نهاية القرن الثالث الميلادي. ولما بلغت الثامنة عشر كانت قد درست اللاهوت والفلسفة على يد أكبر العلماء المسيحيين حينذاك، فعرفت بطلان عبادة الأوثان وروعة المسيحية ولكنها لم تكن قد تعمدت بعد. وفي إحدى الليالي ظهرت لها السيدة العذراء تحمل السيد المسيح وتطلب منه أن يقبل كاترين ولكنه رفض، فقامت لوقتها وتعمدت.

في عام ٣٠٧م حضر القيصر مكسيميانوس الثاني إلى الإسكندرية وأصدر أوامره باضطهاد المسيحيين. لم تخف كاترين بل كانت تشدد المؤمنين وتقويهم، بل وفي أحد الأيام إذ رأت القيصر يبخر في هيكل الأصنام تقدمت إليه في شجاعة ووبخته، معترفة باسم السيد المسيح، أما القيصر فذهل من جمالها وشجاعتها واستدعاها إلى قصره وأخذ يعدها بزواجه منها، ولكنها رفضت. ثم طلبت منه أن يحضر لها فلاسفة اليونان ليناقشوها في أمر ديانتهم فأحضر لها القيصر خمسين من أذكى الفلاسفة الوثنيين كما حضر اللقاء عدد كبير من رجال البلاط والنبلاء وعامة الشعب.

استعدت القديسة بالصلاة والصوم وتشددت بروح اللّه القدوس، ثم بدأت مناقشة طويلة بينت لهم فيها القديسة خطأ عقيدتهم وعظمة المسيحية،

فآمنوا بكلامها، ولما انتشر الخبر أمر القيصر بقطع رؤوس الفلاسفة المؤمنين وكان ذلك في ليلة ١٧ نوفمبر عام ٣٠٧م.

أما القديسة فقد أمر بوضعها في السجن وتعذيبها حتى يعود من رحلته للشمال إذ كان يأمل أن يغريها بالزواج منه، ولكن رفضها المتكرر أثار القيصر فعمل على تعذيبها بأن علقوها من يديها ورجليها وتمزيق جسدها بمخالب حديد، حتى تمزق جسمها وامتلأ المكان من دمها.

اشتاقت زوجة القيصر واسمها فوستينا أن ترى القديسة فذهبت إليها مع القائد نيرفيريوس، فعلمتهما كاترين الإيمان ثم تعمدا. وبعد رجوع القيصر وجد كاترين قد شفيت من جراحاتها بقوة السيد المسيح، فأمر بوضعها في دولاب محشو بالسيوف الحادة، ولكن ما أن بدأ يدور حتى تحطم. فوبخته زوجته وأوضحت له صحة إيمان كاترين، فلما علم القيصر بأمر زوجته والقائد أمر بقطع رأسيهما ومعهم مائتين من الجند آمنوا بالسيد المسيح على مثال قائدهم.

أصدر أمرًا بنفي القديسة كاترين ومصادرة أموالها، وأخيرًا أمر بقطع رأسها في التاسعة عشر من عمرها، فنالت إكليل الشهادة. وقد حُمل جسدها إلى أحد مرتفعات جبل سيناء ثم كشف اللَّه في رؤيا لأحد الرهبان مكان الجسد، فحملوه ووضعوه في الدير الذي سمي على اسمها.





في مدة الاضطهاد الذي أثاره الطاغية دقلديانوس، كانت منطقة إسنا بالصعيد الأعلى غنية بقديسيها من إكليروس وعلمانيين، متبتلين ومتزوجين. وقام أريانوس والي أنصنا برحلة تجول خلالها في بلاد الصعيد، ليرى مدى تنفيذ مراسيم سيده الإمبراطور. وحالما دخل مدينة إسنا قابله أربعة صبية أشقاء وهم سوروس وهرمان وأبانوفا وشنطاس يسوقون دابة محملة بالبطيخ. فأوقفهم وأمرهم أن يسيروا معه للسجود للأوثان، لكن الصبية الشجعان أبوا وأعلنوا مسيحيتهم. حاول معهم بالإغراء فلم يفلح، فأخذ يهددهم.

الأم دولاجي تشجع أولادها

طار الخبر إلى أمهم دولاجي، فهبّت مسرعة إلى مكانهم. وأمام الوالي كانت تشجعهم وتقويهم، فامتلأ أريانوس غيظًا وأمر بحبسهم جميعًا، تمهيدًا لمحاكمتهم.

الأم تعد أولادها للاستشهاد

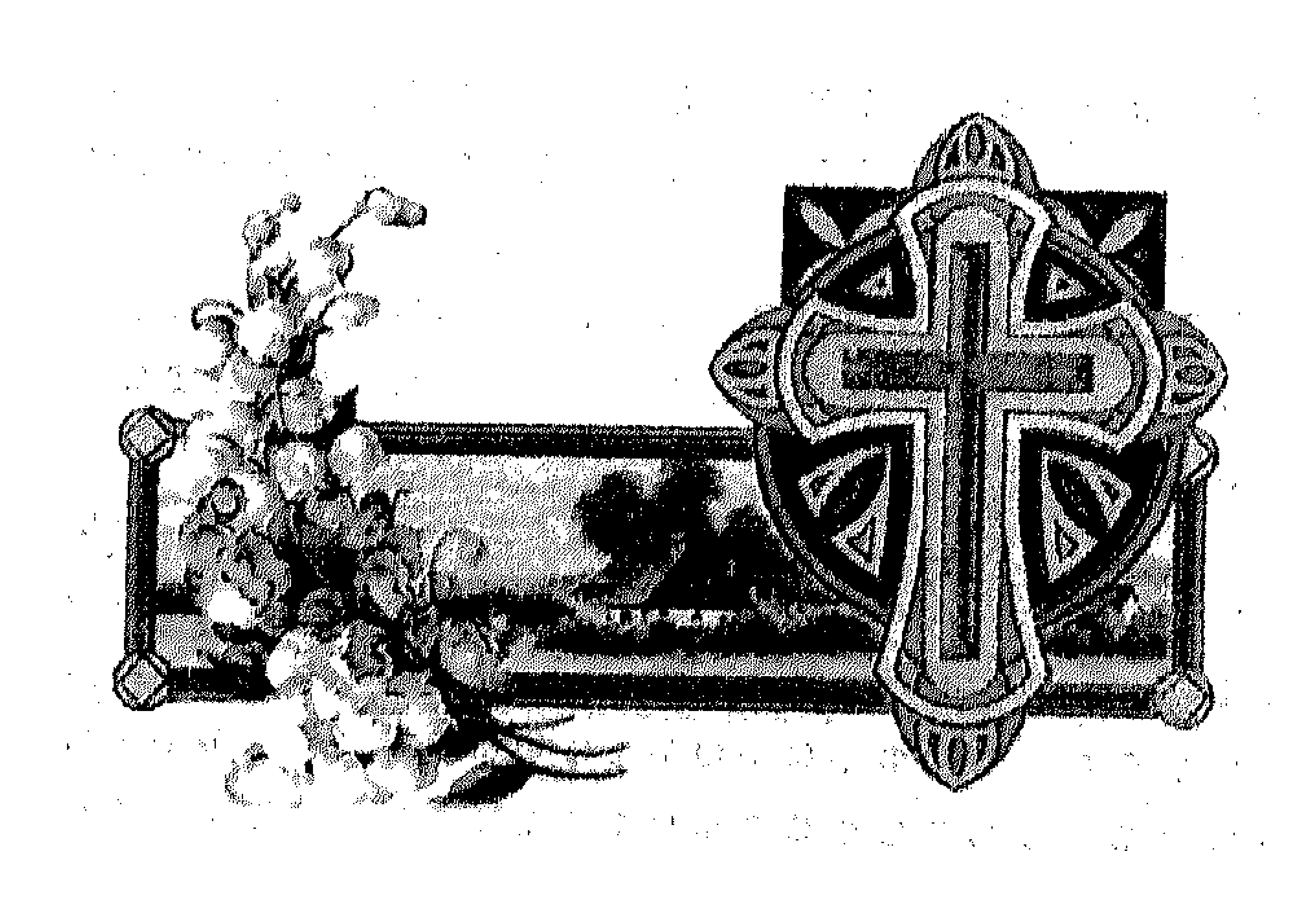
في داخل السجن أخذت الأم دولاجي تصلّي مع أولادها. كانت تطلب عونًا إلهيًا ليثبت هؤلاء الأولاد الصغار. استطاعت الأم بأحاديثها العذبة أن ترفع قلوب أولادها إلى السماء، وأن يشتهوا نوال أكاليل المجد.

محاكمتهم

وفي الصباح استدعاهم الوالي، وحاول معهم مرة أخرى أن يبخروا للآلهة، فإذا بالأم دولاجي تصرخ معلنة إيمانها المسيحي هي وأولادها، الذين كانوا يهتفون "نحن مسيحيون" وأنهم يرفضون عبادة الآلهة الكاذبة. للمرة الثانية أُلقيت الأم وأولادها في السجن لتنفيذ حكم الإعدام. في تلك الليلة ظهرت لهم القديسة العذراء مريم وصارت تشجعهم وتكشف لهم عن المواعيد العظمى والثمينة.

استشهادهم

امتلأ أريانوس غضبًا وأمر بقطع رؤوسهم، على أن يُذبح أولادها على ركبتيها الواحد تلو الآخر، وفيما كانوا يفعلون ذلك كانت ترتل وتصلي، وأخيرًا قطعوا رأسها. وكانت هي وأولادها باكورة شهداء إسنا في عهد دقلديانوس، ومازالت أجسادهم الطاهرة بالكنيسة التي تحمل اسمهم بمدينة إسنا حتى الآن. تحتفل الكنيسة بعيد استشهادهم في السادس من شهر بشنس.





عندما قامت إحدى مناطق بلاد الغال (فرنسا) بثورة، تقدم إليهم ماكسيميان هركُليوس Maximian Herculius وأعدَّ جيشًا لإخماد ثورتهم. وكانت إحدى وحدات هذا الجيش المسماة "الكتيبة الطيبية" مكونة من أفراد أتوا من صعيد مصر وكانوا كلهم من المسيحيين.

حين وصل الجيش إلى أوكتودورَم Octodorum على نهر رون Rhone قرب بحيرة جنيف بسويسرا، أصدر ماكسيميان أمرًا إلى كل الجيش بالاشتراك في تقديم ذبائح شكر للآلهة لنجاح مهمتهم. وعند ذلك انسحبت الكتيبة الطيبية وعسكرت بقرب المنطقة التي تسمى الآن سان موريس St. Maurice-en-Valais رافضة الاشتراك في هذا الاحتفال. أمرهم ماكسيميان عدة مرات بطاعته ولكن أمام ثباتهم ووحدة رأيهم في الرفض أمر بقتل كل عاشر فرد من الكتيبة، محاولًا بذلك إرهابهم وإجبارهم على طاعته. فشلت المحاولة مع أول مجموعة فأمر بقتل كل عاشر فرد من الباقين، ولكنهم أجابوا بأنهم مستعدين لتحمل أي عقاب عن أن يعملوا ما يتنافى مع دينهم، وكان يقودهم ويشجعهم في هذا ثلاثة من ضباطهم وهم: موريس Maurice وإكسوبِريوس Exuperius وكانديدَس Candidus.

حاول ماكسيميان مرة أخرى إرهابهم قائلاً أنهم إن استمروا في عنادهم فلن يبقى فرد واحد حيًا من الكتيبة، فكان ردهم: "نحن جنودك

ولكننا عبيد الإله الحقيقي، نحن ندين لك بالطاعة والولاء العسكري ولكننا لا نستطيع أن نرفض خالقنا وسيدنا بل وخالقك أنت أيضًا مع أنك ترفضه. نحن مستعدون لطاعتك في كل ما لا يتعارض مع أوامره، فنحن نقاوم كل أعدائك أيًا كانوا، ولكننا لن نغمس أيدينا في دماء أبرياء. لقد أقسمنا بطاعتنا للَّه قبل قسمنا بطاعتك، وإذا حنثنا بقسمنا الأول للَّه فإنك لن تثق بقسمنا الثاني لك. أنت تأمرنا بمعاقبة المسيحيين بينما نحن كذلك ونعترف باللَّه الآب خالق كل الأشياء وابنه يسوع المسيح. لقد شاهدنا زملاءنا يُقتَلون ونحن نفرح من أجلهم، ولا تظن أن هذا أو أي اضطهاد آخر سوف يؤثر في قرارنا. إننا نحمل أسلحة بين أيدينا ولكن ليس في نيتنا المقاومة لأننا نُفَضّل أن نموت أبرياء من أن نحيا بالخطية".

كانت هذه الكتيبة تتكون من ستة آلاف وستمائة رجل، وإذ رأى ماكسيميان ثباتهم وفشله في التأثير عليهم أمر بقية الجيش بحصارهم وتقطيعهم إربًا. لم يُظهِروا أي مقاومة حينما سيقوا للذبح مثل الخراف، حتى تغطَّت الأرض بجثثهم وسالت دماءهم مثل النهر على الجانبين. سمح ماكسيميان لجنوده بالاستيلاء على ممتلكات الشهداء، وفيما هم يقتسمونها رفض أحدهم ويدعى فيكتور الاشتراك معهم، وحين سألوه إن كان مسيحيًا رد بالإيجاب فوقعوا به وقتلوه.

كانت مذبحة الكتيبة الطيبية حوالي سنة ٢٨٧م، وقد بُنيت كنيسة كبيرة فوق موضع دفنهم، وحدثت معجزات كثيرة بشفاعتهم. صار القديس موريس شفيعًا للجنود وصنّاع السلاح.


Saint Maurice

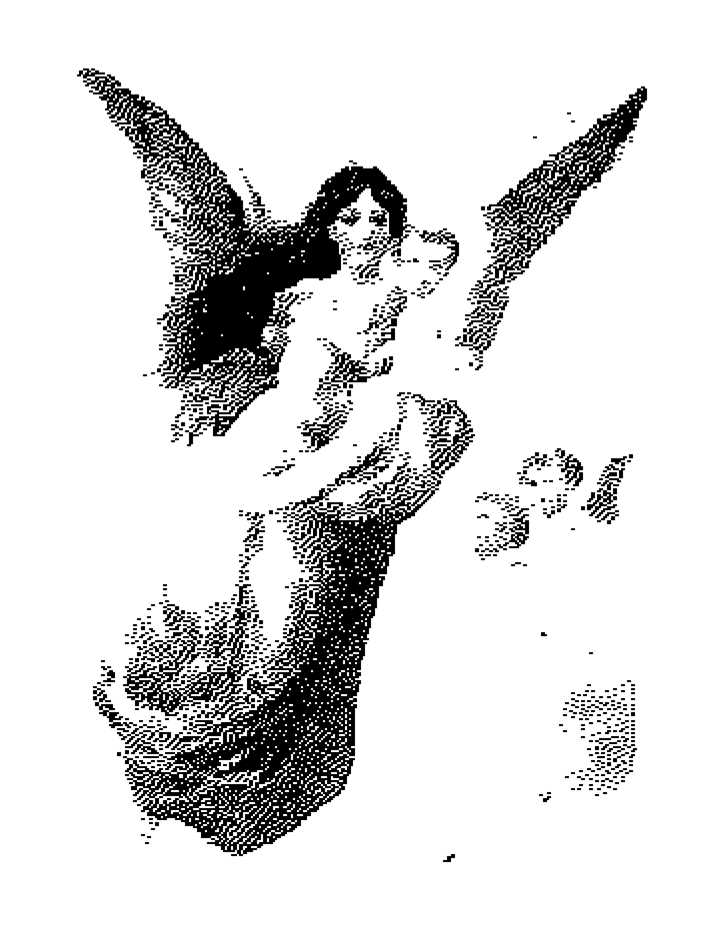
مسيحنا

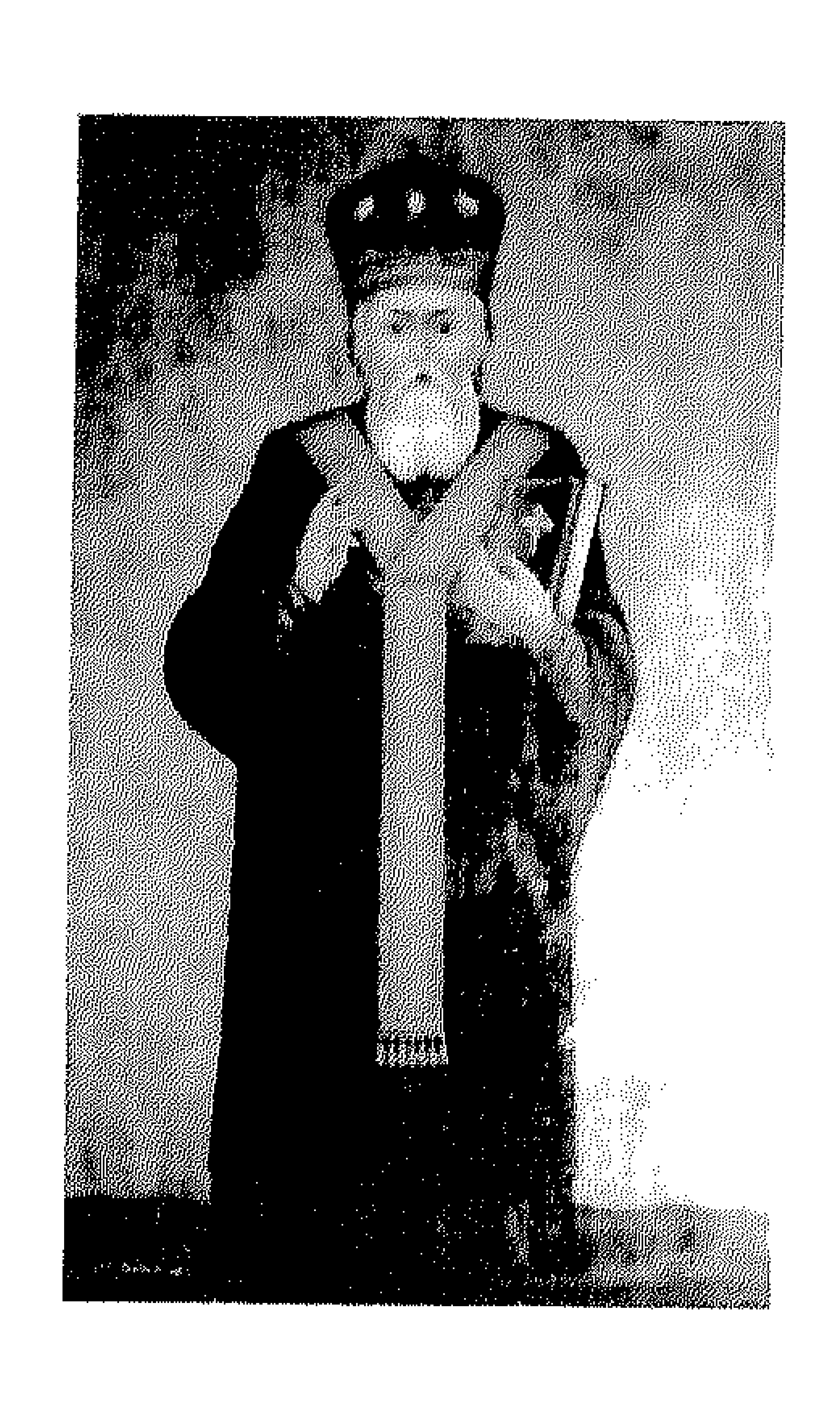
في تاريخ الكنيسة القبطية

٤

مسيحنا الأمين

قائد موكب القرن الرابع





موكب الحفاظ على استقامة الإيمان

إذ قرأ مارك الكتب الثلاثة "مسيحنا المحب قائد موكب القرن الأول"، و"مسيحنا المعلم قائد موكب القرن الثاني"، و"مسيحنا المصلوب قائد موكب القرن الثالث"، التهب شوقه نحو التعرف على عمل السيد المسيح في كنيسته، خاصة في مصر، عبر الأجيال، فقال لأخيه أندرو:

"في القرن الأول أسس السيد المسيح كنيسته في مصر،

وفي القرن الثاني سندها ونماها خاصة خلال المعرفة والعلم،

وفي القرن الثالث قاد الرب نفسه موكب الشهداء،

فما هي أهم أعماله في القرن الرابع؟"

أجاب أندرو: "لعل أهم حدث في القرن الرابع عمل اللَّه في قلب الإمبراطور قسطنطين الذي قبل الإيمان، وحول هياكل الأوثان إلى كنائس. لكن هدأت موجة الاضطهاد الروماني فبدأت ظاهرتان خطيرتان.

الظاهرة الأولى هي أن الهراطقة وجدوا مجالات متسعة لنشر أفكارهم المضادة للإيمان المستقيم، مثل أريوس ونسطور وأوطيخا وابوليناريوس وسابيليوس.

والظاهرة الثانية هي أن أبواب القصر الإمبراطوري في روما والقسطنطينية انفتحت على مصراعيها للأساقفة والكهنة، فبدأت الكنيسة ترتبط بالسلطة الزمنية مما كان له أثره على روحانياتها.

لكن السيد المسيح الذي يهتم ببنيان كنيسته قاد موكبين أحدهما خاص بالحفاظ علي استقامة الإيمان من الهراطقة، والثاني خاص بسحب قلب الكنيسة من السياسة ومجد العالم الزائل".

سأل مارك:"ماذا تعني بكلمة الهراطقة؟"

أجاب أندرو: "الهراطقة هم الذين ينحرفون عن الإيمان المستقيم الذي تسلمته الكنيسة".

سأل مارك:"كيف قاد السيد المسيح موكب الحفاظ علي استقامة الإيمان؟"

أجاب أندرو: "لم يفكر قادة الفكر المسيحي بالإسكندرية في أي مركز سياسي، بل سحبتهم مدرسة الإسكندرية إلي الاهتمام بالمجد الداخلي. فمع قوة الروح وعمق اللاهوتيات والانشغال بالدراسات الكتابية التي تسحب القلب إلي السماء، وممارسة عمدائها وطلبتها الحياة النسكية. كل هذا خلق منهم قادة لاهوتيين كنسيين مملوءين غيرة علي الإيمان المستقيم في حزم مع محبة صادقة حتى للّهراطقة. كل ما يشغلهم خلاص الجميع".

سأل مارك: "كيف كانوا حازمين ومحبين في نفس الوقت؟"

أجاب أندرو: "سأعطيك أمثلة تكشف لك عن يد المسيح الواضحة في حياة قادة الفكر المصريين.

أولاً: لم يُقحم اللاهوتيون السكندريون أنفسهم في مشاكل الكنائس الأخرى، ولا ادعوا أنهم حُراس الإيمان المستقيم. لم يتطفلوا، بل كان قادة الكنائس يطلبون منهم خلال علاقات الاخوة الصادقة أن يساعدوهم علي حل مشاكلهم اللاهوتية.

ثانيًا: برز القديس أثناسيوس في المجمع المسكوني الأول عام

٣٢٥م، وجذب الرب أنظار أساقفة العالم نحوه وهو شاب صغير. ومع هذا ففي معالجته للمشاكل اللاهوتية كان يحرص على خلاص النفوس، لا علي التمسك بألفاظ لاهوتية معينة. لقد أكد أنه حيث يوجد اتفاق في الفكر يلزم ألا تفرقنا المصطلحات اللاهوتية.

ثالثًا: مع حزم القادة ضد الهرطقة كانوا يحاولون جذب الهراطقة بالحب. جاءت الرسالة الثانية للقديس كيرلس السكندري لنسطور تشهد بذلك. لقد كتب له أنه لا يوجد من يحب نسطور مثله، لكن حبه هو الذي يحثه للكتابة إليه حتى لا يسقط في الخطأ.

رابعًا: لم يكن يشغل هؤلاء القادة مجدهم الزمني، فحين قيل للبابا أثناسيوس أن العالم كله ضده أجاب بكل قوة انه هو ضد العالم.

خامسًا: لم يسقط القديس في اليأس حتى في أحلك الفترات، إذ آمن أن ما يقوم به هو عمل المسيح نفسه الساكن فيه.

سأل مارك أخاه عن أهم الهرطقات وكيف أرسل السيد المسيح من يجحدها. أجاب أندرو طلبة أخيه فقال له:

عناية إلهية عبر الأجيال

حينما أثار عدو الخير فرعون ليذل شعب اللَّه كان اللَّه قد أعد موسى ليحرر شعبه بيدٍ إلهيةٍ قويةٍ وذراعٍ رفيعة، فينطلق بهم نحو أرض الموعد. وحينما ظن هامان أنه سيصلب مردخاي التقي، أعد اللَّه إستير الملكة اليتمية، ليصلب هامان على ذات الصليب بينما يمجد اللَّه مردخاي وكل شعبه.

هكذا أرسل اللَّه **القديس أثناسيوس الرسولي** كعطية إلهية للكنيسة في وقت كاد أريوس أن يخدع العالم المسيحي منكرا لاهوت السيد المسيح، ومساواته مع الآب في ذات الجوهر الإلهي الواحد.

لقد بذل نسطور وأتباعه كل الجهد ليجعل من السيد المسيح شخصين ذي طبيعتين، فأعد اللَّه **القديس كيرلس الكبير** ليدافع عن وحدة شخص السيد المسيح وأقنوميّة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت.

وفي آخر الأيام سيكرس عدو الخير كل طاقاته ليحطم الإيمان خلال "ضد المسيح"، وسيرسل اللَّه **النبيّين إيليا وأخنوخ** ليشهدا للحق، ويسندا المؤمنين.

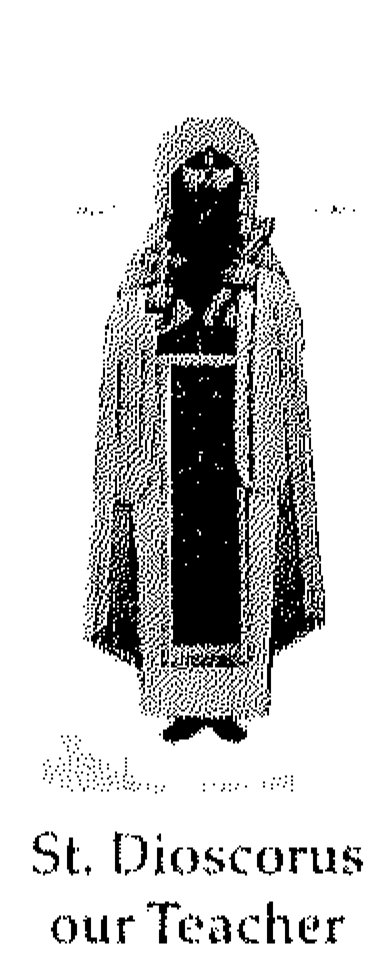
أهم الهرطقات

- ❖ **الأريوسية** أنكرت أن المسيح هو واحد ومساوٍ للآب في ذات الجوهر. وادعت أنه مخلوق له بداية، صار ابنًا للَّه بالتبني، وقد بعث اللَّه البابا أثناسيوس الرسولي لمقاومتها.
- ❖ **المقدونية** حسبت الروح القدس مخلوقًا، وقد رأس البابا السكندري تيموثاوس المجمع المسكوني الثاني بمدينة القسطنطينية عام ٣٨١م.
- ❖ **السابيلية** ترى أن اللَّه أقنوم واحد يظهر تارة في شكل الآب وأخرى في شكل الابن وأيضًا في شكل الروح القدس.
- ❖ **الأبولينارية** ظنت أن ناسوت المسيح جسد بلا عقلٍ بشري، لأن اللاهوت احتل مكان العقل.
- ❖ **النسطورية** (القرن الخامس) قسَّم شخص المسيح إلي طبيعتين منفصلتين وشخصين، وبعث السيد المسيح بالقديس كيرلس الكبير الذي رأس مجمع أفسس عام ٤٣١م.
- ❖ **الأوطاخية** حسبت أن لاهوت السيد المسيح ابتلع ناسوته، فليس له ناسوت حقيقي.

سأل مارك: "وما هو الدافع لقيام هؤلاء الهراطقة؟ ولماذا تقاومهم الكنيسة؟"

أجاب أندرو: "كثيرون منهم بلاشك كانوا غيورين على نشر المسيحية، وقد ظنوا أنهم بآرائهم هذه يكسبون الوثنيين للإيمان، ويدافعون عن الحق، وفي كبريائهم لم يشعروا بخطورة عقائدهم.

قال مارك: "اسمح لي يا أندرو أن تضع لي قائمة عن الهرطقات وهدفهم وخطورة معتقداتهم".

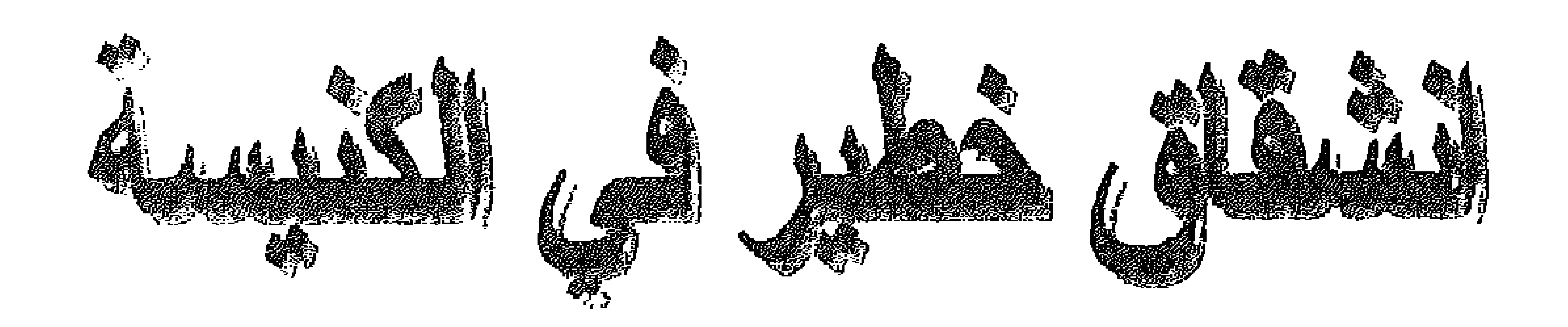


St. Dioscorus
our Teacher



St. Athanasius
the Apostolic

خطورته	غايته	المبتدع
يحرمنا من التمتع بالخلاص، لأنه لا يقدر أحد أن يصالحنا مع الآب إلا الابن، ويقدم نفسه كفارة عن خطايانا ويهبنا برّه.	خشي أن يظن الوثنيون أننا نؤمن بثلاثة آلهة فأنكر لاهوت السيد المسيح.	١ آريوس
يحرمنا من التمتع بالشركة في الطبيعة الإلهية، وأن نصير هيكلاً لروح اللّه القدوس.	نفس الهدف السابق.	٢ مقدونيوس
يحرمنا من الاتحاد مع الآب بالبنوة له خلال الابن، وتجديد طبيعتنا لنصير أيقونة المسيح.	تأكيد وحدانية اللّه.	٣ سابيليوس
المسيح كإنسانٍ كاملٍ خلّص الإنسان الكامل، وإلا يكون قد خلّص الجسد دون العقل.	خشي التعارض بين إرادة المسيح البشرية وإرادته الإلهية، فحسب اللاهوت احتل موضع العقل، فتكون له إرادة إلهية واحدة.	٤ أبوليناريوس
يجعل من المسيح شخصيتين، وليس أقنومًا واحدًا وكائنًا واحدًا.	خشي أن يمزج المؤمنون بين اللاهوت والناسوت.	٥ نسطور
لم يصر المسيح إنسانًا حقيقيًا، فلم يشاركنا حياتنا لنشاركه حياته.	دافع عن طبيعة المسيح الواحدة ضد نسطور بطريقة خاطئة.	٦ أوطيخا



ضعفاء في الإيمان

قال مارك: "خطر على ذهني سؤال أرجو أن تجيبني عليه قبل أن تـتحدث عــن الهراطقة. **هل كان كل الأقباط أقوياء؟ وجميعهم استشهدوا أثناء الاضطهادات؟**

أجاب اندرو : "حتما وُجد بعض منهم ضعفاء، من الشعب والكهنة بل وحتى من الأساقفة. كثيرون منهم شعروا بالندامة وأرادوا العودة إلى حضن الكنيسة وهنا ظهر أخطر انشقاق للكنيسة".

سأل مارك: "ماذا تعني؟"

أجاب أندرو: "انشق الكهنة والشعب إلى فرقين، فريق يطالب بفتح باب الحب لهم مع الحزم والتأديب، وفريق طالب بغلق الباب امامهم، خاصة رجال الدين. هذا ما عانى منهم البابا القديس بطرس آخر الشهداء".

قال مارك: "هل يمكن أن تخبرني عنه؟"

أجاب أندرو: جاء البابا بطرس ثمرة صلوات أمه صوفيا زوجة الكاهن الإسكندري ثيؤدوسيوس، إذ طلبت من اللّه في عيد الرسل أن يهبها ثمرًا. وفي الليل ظهر لها شخصان يلبسان ثيابًا بيضاء يعلنان قبول اللّه طلبتها. وبالفعل وُلد بطرس في عيد الرسل التالي. بعد ثلاث سنوات قدماه الوالدان للبابا ثاؤنا لكي يباركه. وفي الخامسة من عمره أُرسل ليتعلم الدين،

وقد أقيم في السابعة أغنسطسًا، وفي الثانية عشرة شماسًا يخدم اللَّه بروح تقوي نسكي. وكان ملازمًا الكنيسة ليلاً نهارًا، منكبًا على الدراسة، سالكًا في تواضعٍ، فأحبه الجميع، وسيم قسًا في السادسة عشرة من عمره.

قيل أنه كثيرًا ما كان يرى السيد المسيح نفسه يناول المؤمنين بيد البابا ثاؤنا.

عرف القس بطرس كيف ينسحب من وقت إلى آخر للدراسة في الكتاب المقدس، حتى تأهل أن يكون عميدًا لمدرسة الإسكندرية اللاهوتية ويُلقب **"المعلم البارع في المسيحية"**. وعندما جاء سابيليوس القائل بأن اللَّه أقنوم واحد يظهر تارة في شكل الآب وأخرى في شكل الابن وأيضًا في شكل الروح القدس، أرسل له البابا ثاؤنا القس بطرس، فاستصغره لكن سرعان ما أفحمه بل وقيل إنه أُصيب بمرض خطير ومات في الحال وتشتت أتباعه.هذا وقد وهب اللَّه هذا الكاهن عطية إخراج الشياطين وشفاء المرضى.

على كرسي مارمرقس

إذ كان البابا ثأونا في مرض الموت رأى السيد المسيح يطمئنه على الخدمة، قائلاً له: **"أيها البستاني للحديقة الروحية، لا تخف على البستان ولا تقلق، سلمه إلى بطرس الكاهن يرويه، وتعالَ أنت لتستريح مع آبائك".**

أخبر البابا تلميذه الذي بكي لشعوره بعظم المسئولية. وفي أول أمشير سنة ١٨ش (٢٥ يناير ٣٠٢م) سيم بابا الإسكندرية (١٧).

الانقسام الميليتى

بدأ البابا بطرس خدمته كبطريركٍ وسط عاصفة الاضطهاد العنيفة التى أثارها الإمبراطور دقلديانوس وشريكه مكسيميانوس. لكن ما أرهق

البابا بحق هو الانقسام الداخلي الذي خلقه ميليتوس أسقف ليكوبوليس (أسيوط). يبدو أن هذا الأسقف بخر للأوثان، ولما أراد البابا تأديبه رفض، فعقد البابا مجمعًا بالإسكندرية وجرده، أما ميليتوس فأخذ موقف العنف إذ **صنع انشقاقًا وضم إليه بعض الأساقفة، بل وعند سجن البابا ذهب إلى الإسكندرية وصار يرسم كهنة بالإسكندرية.** هذا ما ذكره القديس أثناسيوس، أما القديس أبيفانيوس فيقول أن مليتوس **أخذ موقف العنف من الراجعين بعد الارتداد بسبب الاضطهاد**، رافضًا توبتهم خاصة الكهنة، أما البابا فأراد أن يبقى الباب مفتوحًا لكل نفسٍ راجعة، مكتفيًا بتقديم التأديب.

سُجن البابا بطرس وميليتوس، وبسبب الخلاف وضعا ستارة بينهما داخل السجن حتى لا ينظر بعضهما البعض، **فقد فضل البابا أن يخسر الأسقف ومن معه ولا يفقد الراجعون إلى اللَّه بالتوبة رجاءهم.**

عُرضت قضية هذا الانشقاق الميليتي في المجمع المسكوني بنيقية عام ٣٢٥م، إذ بلغ عدد التابعين لميليتوس ٢٨ أسقفًا، وقد تساهل المجمع معه، إذ قبله كأسقفٍ شرعيٍ في حدود إيبارشيته على ألا يسيم أساقفة أو كهنة فيما بعد، أما الذين سبق فسامهم من الكهنة فيُعاد تثبيتهم من جديد ويعملوا تحت سلطان أسقف الإسكندرية. وفي حالة احتياج أسقفية ما إلى أسقفٍ تعاد سيامة أحد الأساقفة الذين سامهم ميليتوس، كما أمر المجمع ألا يُسام أسقف في المستقبل دون حضور ثلاثة أساقفة على الأقل واشتراكهم في السيامة.

مع آريوس

خطورة الانشقاق الميليتي أن آريوس منكر لاهوت السيد المسيح وجد في هذا الانشقاق فرصته، إذ انضم إليه ليس من جهة الفكر اللاهوتي وإنما من جهة معاندته ضد الكنيسة. عقد البابا بطرس مجمعًا في

الإسكندرية وحرم أريوس، وقد استمر الأخير في نشر تعاليمه.

في داخل السجن

أُلقي القبض على البابا وأُودع في السجن إما لظهور أول مؤلفاته ضد الوثنية، التي اعتبرها الإمبراطور تحديًا شخصيًا له، وإما بسبب شكوى قدمها سقراطيس، أحد أشراف أنطاكية إلى الإمبراطور.

سقراط هذا كان صديقًا للشهيد أبادير، أنكر الأول الإيمان إرضاءً لدقلديانوس، فسألته زوجته التقية أن يسافر معها إلى الإسكندرية لتعميد ابنيهما هناك فرفض خشية غضب الإمبراطور عليه. سافرت الزوجة ومعها الابنان وغلامان، وفي الطريق إذ هبّت عاصفة شديدة خشيت أن يموت الولدان بلا عماد، فبسطت السيدة يديها وحوّلت وجهها نحو الشرق وصلت، ثم جرحت ثديها اليمني ورشمت جبهتيهما بدمها وغطستهما في الماء، وهي تقول: "أعمدك باسم الآب والابن والروح القدس".

وإذ هدأت الريح وبلغت الإسكندرية قدمت الابنين للبابا بطرس، فكان كلما أراد أن يغطسهما تتجمد مياه المعمودية. وإذ روت السيدة له ما حدث اكتفي البابا بالصلاة على الولدين ورشمهما بالميرون.

اشتكى سقراط امرأته أمام الإمبراطور فاستدعاها وأمر أن تُربط يداها من خلفها ويُوضع الولدان على بطنها ويُحرق الثلاثة بالنار. بعد ذلك أمر الإمبراطور بالقبض على البابا الذي عمّد الولدان. وقد سُجن عام ٣١١م.

مساعي آريوس

أدرك آريوس أن البابا بطرس في طريقه للاستشهاد، لذا في مكرٍ أسرع لينال منه الحل طامعًا أن يعتلي الكرسي من بعده، فأرسل جماعة

من الأراخنة يشفعون فيه، أما البابا فأكد حرمان آريوس.

استدعى البابا تلميذيه الكاهنين أرشلاوس والكسندروس وأخبرهما أن الأول سيعتلي الكرسي، ثم من بعده يخلفه الثاني، محذرًا إياهما من قبول آريوس في شركة الكنيسة، قائلاً لهما إنه رأى **السيد المسيح بثوبٍ ممزق في المنتصف، ولما سأله عن سبب التمزيق، أجابه أن آريوس هو الذي مزقه.**

حب مشترك

إذ علم شعب الإسكندرية بسجن باباهم المحبوب تجمهر الكل حول السجن يريدون إنقاذه دون استخدام أية وسيلة عنيفة بشرية، مشتاقين أن يوقفوا قتله ولو تعرض الكل للموت. اضطر القائد أن يؤجل تنفيذ الحكم يومًا خشية حدوث ثورة.

وإذ حلّ الليل لم ينصرف الجمهور فارتبك القائد. أدرك البابا أن احتكاكًا لابد أن يحدث في الصباح بسببه، وإذ لم يرد أن يُصب أحد من شعبه بسوءٍ، استدعى أحد الأراخنة الموثوق فيهم ليبلغ الوالي أن يدبر إرسال البعض إلى السجن من جهة الجنوب عند أسفل الحائط وسوف يقرع البابا لهم من الداخل فينقبوا الحائط ويخرج إليهم لينفذوا فيه الأوامر الصادرة إليهم. وبالفعل تم ذلك، وخرج البابا سرًا، وهو يقول: "**خير لي أن أسلم نفسي فدية عن شعبي ولا يُمس أحد بسوء**".

سُمح له بزيارة مقبرة القديس مارمرقس الرسول لينال بركته، حيث صلى للَّه مستودعًا إياه الشعب، سائلاً أن يكون هو آخر شهيد في جيله. وكان بالقرب من القبر عذراء ساهرة تصلي سمعت صوتا يقول: "**بطرس آخر شهداء هذا الاضطهاد**".

تقدم البابا للجند فكان وجهه كملاكٍ، ولم يجسر أحد من الخمسة

جنود أن يقتله، عندئذ قدم كل واحدٍ منهم قطعة ذهبية ليأخذ من يضرب رقبته الخمس قطع، فتجاسر أحدهم وضربه، وكان ذلك في ٢٩ هاتور سنة ٢٨ش (سنة ٣١١م).

في الصباح أدرك الشعب ما قد حدث، فوُضع جسده على كرسي مارمرقس إذ لم يجلس عليه قط كل أيام بطريركيته، وكما قال لكهنته انه **كلما أراد الجلوس شاهد قوة شبيهة بالنور حالة في العرش فكان يكتفي بالجلوس أسفله.**

دُفن مع القديس مارمرقس، لكنه إذ كان قد بني لنفسه مقبرة في موضع يقال له "لوكابتس" نُقل إلى هناك ورافقته معجزات كثيرة. وكان الإسكندرانيون يحتفلون بعيده سنويًا، يقضون الليل في التسبيح لينتهي بقداس إلهي يقيمه بابا الإسكندرية، يعقبه وجبة أغابي "وليمة محبة" على شاطئ البحر.



القديس أثناسيوس الرسولي والأريوسية

شعر مارك بالمرارة ففي وسط الاضطهاد من الإمبراطور آثار الأسقف ميليتوس انشقاقًا خطيرًا في الكنيسة. تطلع مارك إلى أخيه أندرو وسأله أن يحدثه عن قيام الهراطقة وكيف حفظ اللَّه الكنيسة منهم.

قال أندرو: "**لقد هيّج الشيطان آريوس ضد الإيمان الحق، لكن اللَّه بعث للكنيسة البابا أثناسيوس ليواجه آريوس وكل أتباعه**".

بدأ أندرو يروي قصة البابا أثناسيوس، فقال:

الطفل أثناسيوس وأبوة البابا الكسندروس

إذ كان البابا الكسندروس يتطلع من نافذة البطريركية بالإسكندرية شد انتباهه مجموعة من الأطفال يلعبون على شاطئ البحر. وكان أحدهم في شيء من الجدية يقوم بتغطيس الأطفال طفلاً طفلاً ثلاث مرات، ممارسًا طقس العماد بدقة. لم يقف البابا متفرجًا لما يفعله هذا الطفل الصغير، لكنه كأبٍ محبٍ لأولاده يشتاق أن ينمي مواهبهم استدعى الأطفال.

سألهم عما كانوا يفعلون، فخافوا في البداية، لكنهم إذ اطمأنوا

لنظرات البابا وسلوكه نحوهم، اعترفوا بأن **الطفل أثناسيوس قد أعجب بما يفعله البابا عند تعميده الأطفال، وأنه قام بدور أسقف يعمد الأطفال.**

فرح البابا بالأطفال، خاصة بالطفل أثناسيوس، فاستدعى والدته وطلب منها أن تهتم بتربيته، لأنه سيكون له دور عظيم في الكنيسة. أما هي فسألته أن يقبله تلميذاً له.

الشاب أثناسيوس والشهداء

ولد القديس أثناسيوس حوالي عام ٢٩٧م، وعاصر فترة الاستشهاد العنيفة (٣٠٣-٣١١م) حيث كان في السابعة من عمره حتى الخامسة عشر، وقد عرف كثيرين من شهداء الإسكندرية ومعترفيها. تعلم منهم الإيمان الأرثوذكسي والحب الشديد للكتاب المقدس.

أثناسيوس غاسل أقدام العظيم أنطونيوس

تحول قسطنطين الكبير إلى الإيمان المسيحي ليكون أول إمبراطور مسيحي في العالم، يبذل كل جهده من أجل تحويل هياكل الأوثان إلى كنائس، ومساندة الكنيسة. لكنه إذ فتح أبواب قصره للأساقفة وبعض الكهنة انسحبت قلوب الكثيرين إلى القصر الإمبراطوري. لم يترك الرب كنيسته تنسحب إلى قصور العالم وأمجاده، فأعد العظيم أنبا أنطونيوس الذي سحب قلب الكنيسة إلى البرية، لكي يدخل كل مؤمن إلى أعماقه، ويتلامس مع ملكوت السموات القائم فيه. من بين هؤلاء المؤمنين كان أثناسيوس الذي **وإن كان لم يلتحق بالحياة الرهبانية، لكنه تتلمذ على يدي العظيم أنبا أنطونيوس.**

إن كان البابا أثناسيوس قد سجل لنا كتابه المشهور *Vita Antonii* حياة أنطونيوس، فإنه في الحقيقة نقش سيرة معلمه وحياته في قلبه وخلال

حياته وسلوكياته وأفكاره. وإنني أرجو أن أقدم هنا أمثلة قليلة لعمل اللَّه الفائق في حياة البابا أثناسيوس خلال تأثره بأبيه الروحي.

١. إن كانت الرهبنة المصرية قد حولت البراري والقفار إلى فراديس، والبشر إلى ملائكة، فإن القديس أثناسيوس حتى في حواراته اللاهوتية، كانت غايته أن **يحوّل كيان الإنسان إلى سماء جديدة متهللة باللَّه مصدر فرحها ومجدها.**

٢. الخط الواضح في كتاب "حياة أنطونيوس" الذي سجله تلميذه البابا أثناسيوس هو صراع القديس مع الشياطين، موضحًا ما يحمله المؤمن الحقيقي من روح الغلبة والنصرة حتى على الشياطين والأرواح النجسة. كان هذا المعلم العجيب قائدًا خفيًا لتلميذه الذي عاش أغلب حياته في سلسلة لا تنقطع من الصراع، لم يعرف فترات السلام الخارجي في خدمته إلا القليل النادر. وجاءت رسائله الفصحية السنوية تكشف عن **اعتزاز حيّ بالجهاد المستمر مع رجاء صادق في التمتع بنصرات لا تنقطع.** قيل له: "العالم كله ضدك يا أثناسيوس!" وكانت إجابته التلقائية النابعة من خبراته اليومية وعمل النعمة الإلهية فيه، "وأنا ضد العالم". لم يكن هذا عن كبرياءٍ أو تشامخٍ، وإنما عن يقين في إمكانيات اللَّه العاملة فيه. لقد قضى أغلب حياته في ضيق خارجي دون أن يفقد سلامه وإيمانه بنواله روح النصرة.

لقد دامت رئاسته ٤٦ عامًا، قضى منها ١٧ عامًا في النفي:

ا – في عهد قسطنطين (٣٣٥-٣٣٧م) في تريف.

ب – في عهد قسطنطيوس (٣٣٩-٣٤٦م) حيث زار روما.

ج – في عهد قسطنطيوس (٣٥٦-٣٦٢م) حيث عاش في براري مصر.

د – في عهد يوليانوس (٣٦٢-٣٦٣ م) حيث عاش في براري

مصر.

هـ - في عهد فالنس (٣٦٥-٣٦٦م) حيث عاش في براري مصر.

أتهم في مجمع صور عام ٣٣٥م بقتل الأسقف الميليتي أرسانيوس، وانتهاكه بتولية عذراء، وتحطيم كأس الأفخارستيا الذي كان يستخدمه أسخيراس وظهر بطلان هذه الاتهامات

٣. كان لبشاشة وجه القديس أنبا أنطونيوس وهو في ساحة الصراع مع عدو الخير أثرها العجيب على تلميذه القديس أثناسيوس. انعكس ذلك على شخصية تلميذه البابا أثناسيوس الرسولي، **فنراه في وسط ضيقاته لا يكتب عن منفاه ولا عن القبر الذي اختفي فيه، ولا عن حرمانه من التقائه بشعبه بالإسكندرية، إنما سجل لنا وسط آلامه عن نظرته لحياته كعيدٍ دائمٍ. يقول أن عيدنا هو المسيح.**

٤. تهلل الرهبان إذ سمعوا أن أول إمبراطور مسيحي - قسطنطين - قد بعث برسالة إلى أبيهم أنبا أنطونيوس، وجاءوا يسألونه متى يجيب على رسالته. أما هو فلم يكن منشغلاً بالرسالة، بل قال لهم إنه سيجيب عليها عندما يجد وقتًا مناسبًا لذلك. عبرت الأيام ولم يجب أنبا أنطونيوس، وأخيرًا إذ ألح عليه الرهبان ليجيب على الإمبراطور من أجل أعماله العظيمة التي صنعها مع الكنيسة وقادتها، أجابهم أنه مشغول بقراءة رسالة اللَّه، الكتاب المقدس، وعندما ينتهي من الإجابة عليها سيكتب للإمبراطور. هكذا تسلم الباب أثناسيوس من معلمه هذه الروح،أنه **لا يهتم بأن يكون له موضع فيِ قلب الإمبراطور بل فيِ حضن اللَّه.** لم يشته البابا أثناسيوس مجدًا زمنيًا، ولا طلب أن تتفتح أبواب القصر الإمبراطوري أمامه، لكنه كان مهتمًا بخلاص نفسه وخلاص أولاده الروحيين.

٥. لـــم يلتحق القديس أنبا أنطونيوس بمدرسة الإسكندرية اللاهوتية،

لكنه كان متفاعلاً معها، وكانت هي متفاعلة معه.

سأل القديس أنطونيوس القديس ديديموس إن كان يتألم بسبب فقدانه بصره، وإذ لم يجبه الأخير، كرر السؤال للمرة الثانية ثم الثالثة. فأظهر القديس حزنه على فقدانه البصر، أما القديس أنبا أنطونيوس فقال له: "إني اندهش أن رجلاً حكيمًا يحزن على فقدان ما يشترك فيه النمل والذباب والحشرات، ولا يبتهج بالأحرى (بالبصيرة الداخلية) التي لا يتأهل لها إلا القديسون والرسل. بهذه البصيرة التي يعتز بها الأنبا أنطونيوس تطلع تلميذه إلى اللاهوتيات **ليس كأفكار فلسفية للحوار، بل كإدراك حيّ للمعرفة، وتلامس مع الحق. لهذا لم ينشغل البابا أثناسيوس بالتعبيرات اللاهوتيات Theological Termenology، إنما اهتم بالمعنى.**

٦. لم يمارس أنبا أنطونيوس الرهبنة كهروبٍ من الناس، بل كانفتاح القلب على اللَّه محب البشر، فبعد حوالي عشرين عامًا من العزلة التامة، انفتحت مغارته وشهد الكل انفتاح قلبه بالحب نحو كل البشر، فلم يلتقِ فقط بالمشتاقين للحياة الرهبانية، بل وبالفلاسفة والحكام، لهذا قال له القديس هيلاريون من فلسطين: "سلام لك يا عمود النور، المضيء للعالم".

هذا هو قلب راهب متوحد يشتهي خلاص الجميع، حتى الفلاسفة الوثنيين، كم بالأكثر **حمل تلميذه البابا البطريرك روح الحب والشهادة لإنجيل المسيح أمام الجميع. لقد تعلم من معلمه أن يسلم قلبه بين يدي روح اللَّه القدوس الناري، الذي يلهب النفس بالحب الحقيقي.** كان قلبه ملتهبًا بالحب، يحمل الكنيسة على ذراعيه ليقدمها لمسيحه في صلواته المستمرة. وعندما التهبت نيران الاضطهاد زار الإسكندرية ليخدم المعترفين ويشجعهم أثناء محاكماتهم. نزل أيضًا ليقف بجانب تلميذه أثناسيوس، بل بجانب الحق الإيماني في الصراع ضد الأريوسية.

٧. تلمذة القديس أثناسيوس على يدي الأنبا أنطونيوس قرابة ثلاث سنوات بلا شك سحبت قلبه إلى حياة الخلوة والتأمل. فإن كان اللَّه لم يسمح له بالحياة الرهبانية الديرية أو التوحد، لكنه مارس نسكه في حياته الرعوية، وإذ سمح اللَّه له بالضيقات كان يهرب إلي قبر والده أو يختفي في منزل أو يصعد إلي بعض أديرة الصعيد. لم تكن هذه الفترات تمثل ضيقًا، بل تعكس عليه بهجة إذ يحقق أمنيته في الخلوة والتأمل دون تجاهل لدوره الأبوي الرعوي.

٨. تدرب البابا أثناسيوس على حياة السهر، ورأى في معلمه رجل صلاة، يكرس كل حياته للعبادة. لهذا وجد البابا سروره في الصلاة والسهر. فعندما حاول القائد سيرينوس القبض عليه كان البابا يقود شعبه في خدمة ليلية للسهر. كما أشار كثيرًا في كتاباته إلى حياة السهر والصلاة.

٩. إذ ذاق عذوبة الحياة التقوية في عشرته للقديس أنبا أنطونيوس لم يستطع أن يفصل بين اللاهوت والسلوك العملي، وبين الإيمان والتقوى، فالعقيدة المسيحية في ذهنه تدفع الإنسان ليتمتع بالحياة التقوية في الرب. ومن كلماته: [الإيمان والتقوى حليفان وأختان، من يؤمن باللَّه فهو تقي، ومن يسلك بتقوى يؤمن بالأكثر.]

بخصوص السيد المسيح Christology

١. يُعلن القديس أثناسيوس أن تجسد المسيح وموته ليسا عارًا للَّه بل هما لمجده، صارا سببًا لنعبد الرب.

٢. أخذ ناسوتًا كاملاً، إذ يقول: [لم يأخذ المخلص جسدًا بدون نفس، ولا بدون حواس أو عقل، فإنه لم يكن ممكنًا عندما صار الرب إنسانًا لأجلنا، أن يكون جسده بل عقل، وإلا ما كان الخلاص الذي قدمه

الكلمة نفسه خاصًا بالنفس أيضًا مع الجسد.]

٣. اللوغوس ليس أداة خارجية لتحقيق الخلقة؛ فإن اللّه ليس في عوزٍ إلى أداة للخلق أو حتى للخلاص. اللوغوس هو واحد مع الآب في الجوهر. **[فلو أن الجوهر الإلهي غير مثمر في ذاته بل عقيم كما يقولون، يكون كنورٍ لا يُضيء، وكينبوعٍ جاف؛ أما يخجلون من هذا القول عن طاقته العاملة؟]**



Christ Enthroned

كيرلس عامود الدين
البابا الرابع والعشرون

ولد بالإسكندرية حوالي عام ٣٧٧م، وهو ابن أخت البابا ثيؤفيلس البطريرك الثالث والعشرين، وتربى في كنف خاله **فشبّ على معرفة العلوم الدينية والشغف بقراءة الكتب المقدسة وأقوال الآباء وسيرهم**، كما أنه كان يمتلك **موهبة حفظ الألحان الكنسية** وترديدها. وقد ألحقه خاله **بمدرسة الإسكندرية اللاهوتية** لدراسة العلوم الفلسفية التي تعينه على الدفاع عن المسيحية ضد الهراطقة والمبتدعين، فتمكن من دراسة العلوم الدينية والفلسفية وتهذب بكل العناية الفائقة منذ الصغر وحتى تخرجه.

أرسله خاله إلى البرية في جبل النطرون إلى دير أبي مقار حتى **تتلمذ على الأنبا سيرابيون تلميذ الأنبا مقار**. مكث مع أستاذه مدة خمس سنوات في جبل نتريا تمكن خلالها من التهام كتب الكنيسة وأجاد علومها وأعطاه الرب نعمة وفهمًا عجيبًا فكان إذا قرأ كتابًا يحفظه عن ظهر قلب.

سيامته شماسًا

عاد إلى الإسكندرية حيث خاله الذي امتدح نبوغه العظيم المبكر، وعلى الفور قام برسامته شماسًا. وقد كان القديس كيرلس **إذا ما وقف ليرتل الإنجيل تمنى المؤمنون ألا ينتهي من القراءة لرخامة صوته.**

رسمه بعد ذلك قسًا **وكلفه بالقيام بالوعظ رغم صغر سنه،** فحاز إعجاب السامعين، ونال رضى جميع الكهنة والعلماء في جيله حيث أنه برع في فهم الأسفار المقدسة وشرحها.

سيامته بطريركًا

ما كاد يخلو العرش المرقسي بنياحة البابا ثيؤفيلس في ١٨ بابه سنة ١٢٩ش الموافق ١٥ أكتوبر سنة ٤١٢م، حتى قال الشعب القبطي كلمته وأجمع الإكليروس على انتخاب القس كيرلس ليخلفه على العرش وتتويجه بطريركًا بعد ثلاثة أيام فقط من نياحة خاله، فجلس على الكرسي في ٢١ بابه سنة ١٢٩ش في عهد الإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير.

قضية القديس يوحنا الذهبي الفم

كان البابا متأثرًا بالقضية التي ثارت بين خاله البابا ثيؤفيلس وبين القديس يوحنا الذهبي الفم، فعكف على دراستها، وهو يعرف أن خاله ندم على إصداره حكم النفي على الذهبي الفم، وظهر ندمه هذا في آخر حديث له قبيل انتقاله من هذا العالم. وأخيرًا بإرشاد الروح القدس قام بإلغاء الحرم وتكريم القديس يوحنا الذهبي الفم، كما أشاد بمؤلفاته الكثيرة، كما أنه أثناء قيام البابا كيرلس بتدوين قداس القديس مرقس الرسول، **دوّن اسم القديس الذهبي الفم في قائمة أسماء القديسين الذين يُذكرون فيه.**

الدفاع عن الإيمان المستقيم

ارتبط اسم البابا كيرلس الإسكندري بالدفاع عن الإيمان المستقيم، وقد واجه المشكلات الهامة التالية:

١- **كتابات يوليانوس الجاحد:** الذي وضع عشرة كتب ضد المسيحية طعن فيها في ألوهية السيد المسيح وشكك في أقواله وتعاليمه ومعجزاته، فقام

البابا بالرد على أقواله في ثلاثة كتب حررها سنة ٤٣٢م، وكتب للإمبراطور ثيؤدوسيوس الصغير يطلب جمع كتب يوليانوس وحرقها.

٢- أتباع نوفاسيوس الهرطوقي قس كنيسة روما الذي كان يرفض توبة من جحد الإيمان أثناء الاضطهادات، فأوضح البابا كيرلس فساد هذا المعتقد، وأمام إصرارهم على رأيهم طردهم البابا من الإسكندرية.

٣- ثورة اليهود على المسيحيين حين رأوا انتشار المسيحية السريع فقاموا بأعمال قتل وعنف ضدهم، قابلها المسيحيون من جهتهم بمحاولات عنف مضاد حاول البابا منعها، ولما لم يستطع استأذن الإمبراطور وطرد اليهود من المدينة دون سفك أي دماء.

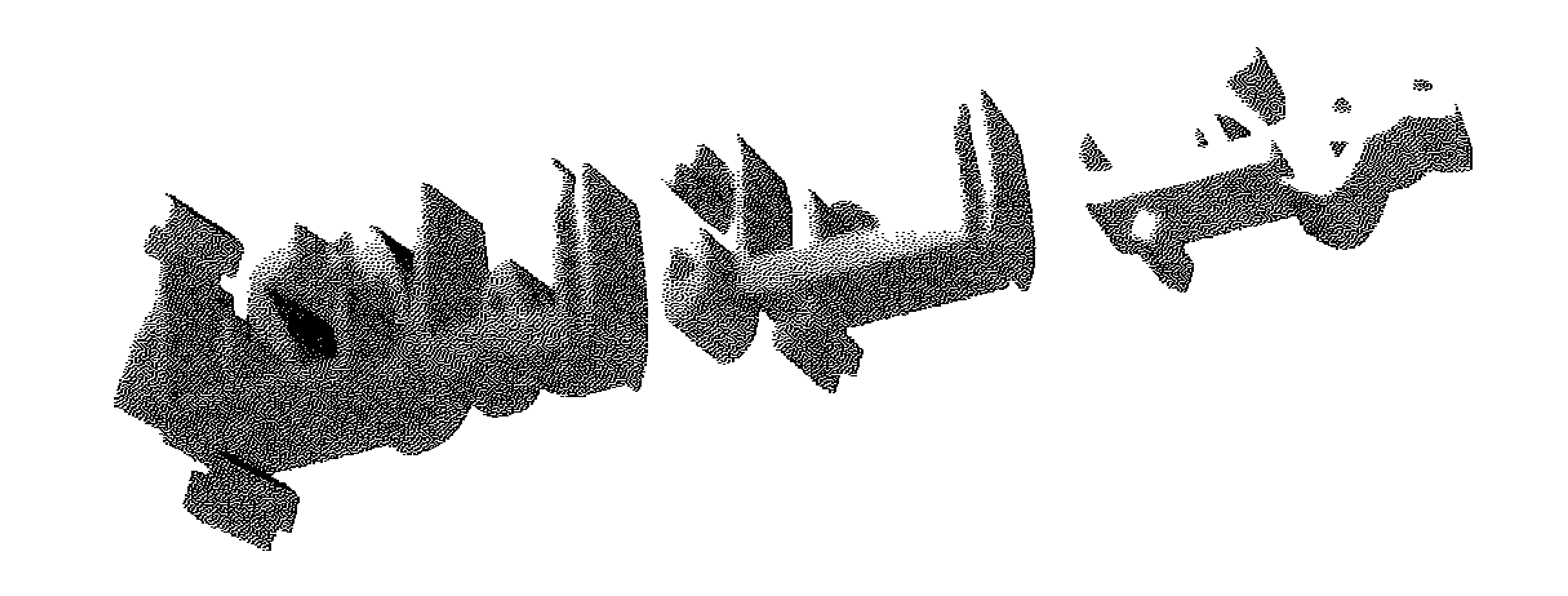
٤- أهم مشكلة واجهها البابا كيرلس كانت بدعة نسطور بطريرك القسطنطينية. اهتم البابا بالدفاع عن شخص السيد المسيح وتثبيت اللقب التقليدي للعذراء وهو ثيؤتوكوس أي والدة الإله، ليس باعتباره مجرد لقب يكرمها، إنما لأنه يحمل إعلانًا لعقيدة إيمانية جوهرية حول شخص السيد المسيح نفسه، بشأن اتحاد لاهوته بناسوته، مؤكدًا أن هذا هو التعبير واللقب التقليدي والكتابي الذي اختاره أثناسيوس الرسولي.

انتهز البابا كيرلس فرصة عيد الفصح عام ٤٢٨م وكتب في رسالته الفصحية ما يفند هذه البدعة، وأرسلها إلى جميع الكنائس في كل مكان، كما أرسل رسائل كثيرة إلى نسطور، ملأها بالحجج الدامغة والبراهين القوية التي تظهر فساد هرطقته لعله يقتنع ويرجع عن ضلاله. وأمام إصرار نسطور على رأيه ومعتقده عقد البابا كيرلس مجمعًا مكانيًا في الإسكندرية من أساقفة الكرازة المرقسية أدان فيه نسطور وشجب كل تعاليمه، وأرسل تقريرًا بما حدث في المجمع إلى سفرائه الموجودين في القسطنطينية وإلى كلستينوس أسقف روما، ثم إلى الإمبراطور ثيؤدوسيوس

حيث رآه يدافع عن نسطور حاسبًا إياه رجلاً فاضلاً عالمًا. وأخيرًا قام البابا بعقد مجمع إقليمي آخر في الإسكندرية عرض فيه كل المحاولات لمقاومة بدعة نسطور، والرسائل التي كتبها في هذا الشأن. فكتب الآباء بدورهم لنسطور يوضحون له اعتقادهم في الإيمان بالسيد المسيح. كما قدم البابا كيرلس اثني عشر بندًا شرح فيها العقيدة المسيحية السليمة، وحرم فيها كل من يتعداها، وهي التي سميت فيما بعد "الحرومات الإثني عشر". إلا أن نسطور احتقر الرسالة والحرومات وقام بكتابة بنود ضدها، وهكذا انقسمت الكنيسة إلى قسمين: الأول يضم كنائس روما وأورشليم وآسيا الصغرى وهذه الكنائس أيدت البابا كيرلس في رأيه، والثاني يضم كنيستي إنطاكية والقسطنطينية التي هي كرسي نسطور.

أمام هذا الانقسام طلب البابا كيرلس من الإمبراطور ثيؤدوسيوس أن يجمع مجمعًا لدراسة الأمر، فاستجاب الإمبراطور لطلب البابا وأرسل لجميع الأساقفة بما فيهم نسطور لكي يجتمعوا في أفسس، وكان اجتماعهم يوم الأحد ١٣ بؤونة سنة ١٤٧ش الموافق ٧ يونيو سنة ٤٣١م. وقد انتهى المجمع بحرم نسطور ووضع مقدمة قانون الإيمان.

بعد انتهاء المجمع عاد البابا كيرلس إلى الإسكندرية فخرج الشعب كله لاستقبال باباه الحبيب، وعاش بعدها البابا حوالي أربعة عشر عامًا ثم تنيح بسلام في ٣ أبيب سنة ١٦٠ش الموافق ١٠ يوليو سنة ٤٤٤م، وتعيد له الكنائس التي تتبع الطقس البيزنطي في ٢٧ يونيو، والكنيسة الرومانية اللاتينية (الكاثوليكية) في ٢٨ يناير، والكنائس الغربية في ١٥ أكتوبر وهو يوافق يوم ارتقائه للسدة المرقسية الرسولية.



بعد أن عرض أندرو لأخيه قيادة السيد المسيح نفسه لموكب المحافظين علي الإيمان، خاصة في الثلاثة مجامع المسكونية، تحدث عن الموكب الثاني الذي يمكن أن ندعوه موكب الحياة الملائكية. قال لأخيه مارك:

"مؤسسو كل النظم الرهبانية الأولي من نظام التوحد، ونظام الجماعات، ونظام الشركة مصريون. جميعهم كانوا يهدفون إلي سحب المؤمنين نحو الحياة الملائكية. بينما كاد العالم المسيحي ينشغل بالمجد الزمني حين قبل الأباطرة الإيمان بالمسيح، إذا بالرب يرسل قادة مصريين يسحبون قلب الكنيسة إلى السماء ليمارسوا الحياة الملائكية".

سأل مارك: "**لماذا بدأت الحركات الرهبانية بكل أنواعها في مصر؟**"

أجاب أندرو: "وُجد نساك بين اليهود وبين الأمم الأخرى خاصة في الشرق الأقصى أكثر نسكًا من قدماء المصريين. لكن ما كان يشغل كثير من المصريين هو الحياة الأخرى. **فلما قبل الأقباط الإيمان المسيحي التهبت قلوبهم وأفكارهم بالمسيح السماوي، وصار شوقهم ان يختبروا عربون السماء وهم بعد علي الأرض.** وقد عبّروا عن ذلك بكل وسيلة:

١. امتازت كنيسة مصر بالعبادة الطويلة بفكرٍ مشغولٍ بالسماء

(الحياة الأخرى)، مع أصوام كثيرة تزيد عن نصف أيام السنة.

٢. في دراسة الكتاب المقدس واللاهوت ما يشغل قادة مدرسة الإسكندرية هو لقاء النفس مع المسيح السماوي، أي المجد الأبدي.

٣. متي وجدت فرصة للانطلاق إلي الفردوس خلال الاستشهاد كان كثيرون يتسابقون للتمتع بإكليل الشهادة.

٤. إذ توقفت حركات الاستشهاد الرسمية بقبول الأباطرة للإيمان، انطلق كثيرون إلى البرية يمارسون الإماتة اليومية، من أجل حبهم للملك السماوي.

سأل مارك: "ألم تبدأ الحركات الرهبانية أو النسكية قبل القرن الرابع؟"

أجاب اندرو: "لم تظهر الحركات الرهبانية فجأة في مصر، إنما مارس كثير من المؤمنين الحياة النسكية بفكر إنجيلي منذ بدء نشأة المسيحية.

١. في العصر الرسولي عبَّر كثير من المؤمنين عن محبتهم للسيد المسيح بممارسة النسك.

٢. إذ انشغل كثيرون بالسماء فضلوا حياة البتولية لكي يكرسوا كل أوقاتهم للعبادة والكرازة

٣. شعر بعض البتوليين والعذارى حاجتهم إلى جو روحي معين، أقام البعض في أكواخ بسيطة في القري، وانطلق بعضهم إلي البرية كأفراد، كما نشأت بيوت للعذارى.

٤. بظهور الأنبا أنطونيوس وذهابه إلى البرية صار أبا للرهبان المتوحدين، وحُسب مؤسسا لكل الحركة الرهبانية. لقد اغلق علي قلايته عشرين عامًا. لكن سيرته جذبت الكثيرين، وتتلمذ القديس أثناسيوس له

وكتب سيرته للعالم الروماني.

٥. أقام القديسان أنبا مقاريوس الكبير وأنبا آمون وغيرهما نظام الجماعات في منطقة وادي النطرون، حيث جاء كثيرون من أنحاء العالم يمارسون الحياة النسكية علي أرض مصر ويكتبون عنها. وكان الرهبان يعيشون في قلالي منفردة حول الكنيسة.

٦. ظهر القديس باخوميوس أب الشركة الذي شعر بأن نظام التوحد لا يناسب كل راغبي الرهبنة، فأقام جماعات رهبانية داخل أسوار الأديرة.

٧. قامت الحركة الرهبانية النسائية جنبًا إلى جنب مع حركة الرهبنة للرجال، وساهم الرهبان في بناء أديرة النساء. وظهرت قيادات رهبانية نسائية لها فاعليتها مثل الآم سارة والأم ثيؤدرة. كما تخفّي بعض النساء المصريات والأجانب في زي رجال، وعشن حياة نسكية في أديرة الرجال، فقن الرجال بجهادهن وروحانياتهن.



أب الأسرة الرهبانية في العالم:

العظيم الأنبا أنطونيوس

يعتبره العالم "أب الأسرة الرهبانية" ومؤسس الحركة الرهبانية في العالم كله بالرغم من وجود حركات سابقة له.

وُلد القديس في بلدة قمن العروس التابعة لبني سويف حوالي عام ٢٥١م من والدين غنيّين. مات والده فوقف أمام الجثمان يتأمل زوال هذا العالم، فالتهب قلبه نحو الأبدية. وفي عام ٢٦٩م إذ دخل ذات يوم الكنيسة سمع الإنجيل يقول: "إن أردت أن تكون كاملاً فاذهب وبع كل مالك ووزعه على الفقراء، وتعال اتبعني" فشعر أنها رسالة شخصية تمس حياته. عاد إلى أخته الشابة ديوس يُعلن لها رغبته في بيع نصيبه وتوزيعه على الفقراء ليتفرغ للعبادة بزهد، فأصرّت ألا يتركها حتى يسلمها لبيت العذارى بالإسكندرية.

زيّ الرهبنة

سكن الشاب أنطونيوس بجوار النيل، وكان يقضي كل وقته في الصلوات بنسك شديد. لكن إذ هاجمته أفكار الملل والضجر صار يصرخ إلى اللّه، فظهر له ملاك على شكل إنسان يلبس رداءً طويلاً متشحًا بزنّار صليب مثل الإسكيم وعلى رأسه قلنسوة، وكان يجلس يضفّر الخوص. قام الملاك ليصلي ثم عاد للعمل وتكرر الأمر. وفي النهاية، قال الملاك له: "اعمل هذا وأنت تستريح". صار هذا الزي هو زيّ الرهبنة، وأصبح العمل

اليدوي من أساسيات الحياة الرهبانية حتى لا يسقط الراهب في الملل.

في أحد الأيام نزلت سيدة إلى النهر لتغسل رجليها هي وجواريها، وإذ حوّل القديس نظره عنهن منتظرًا خروجهن بدأن في الاستحمام. ولما عاتبها على هذا التصرف، أجابته: "لو كنت راهبًا لسكنت البرية الداخلية، لأن هذا المكان لا يصلح لسُكنى الرهبان". وإذ سمع القديس هذه الكلمات قال في نفسه: "إنه صوت ملاك الرب يوبخني"، وفي الحال ترك الموضع وهرب إلى البرية الداخلية، وكان ذلك حوالي عام ٢٨٥م.

في البرية الداخلية

استقر القديس في هذه البرية وسكن في مغارة على جبل القلزم شمال غربي البحر الأحمر يُمارس حياة الوحدة. هناك حاربته الشياطين علانية، تارة على شكل نساء وأخرى على شكل وحوش مرعبة...

حوالي عام ٣٠٥م اضطر أن يكسر خلوته ليلتقي بتلاميذٍ جاءوا إليه يشتاقون إلى التدرب على يديه. فكان يعينهم ويرشدهم، وإن كان قد عاد إلى وحدته مرة أخرى.

إن كان هذا العظيم بين القديسين هو مؤسس نظام الرهبنة (الوحدة)، فإن حياته تكشف عن مفهوم الرهبنة المسيحية خاصة نظام الوحدة:

أولاً: خرج للرهبنة بلا هدف كهنوتي، وكانت حركته شعبية لا كهنوتية، لا يطلب التدخل في التنظيم الكنسي، وحتى حينما أرسل إليه الإمبراطور قسطنطين يطلب بركته أرجأ الرد عليه، ولما سأله تلاميذه عن السبب، أجاب أنه مشغول بالرد على رسالة اللَّه ملك الملوك، وبعد إلحاح بعث بالرد من أجل سلام الكنيسة.

ثانيًا: حبه الشديد للوحدة لم يغلق قلبه نحو الجماعة المقدسة، بل

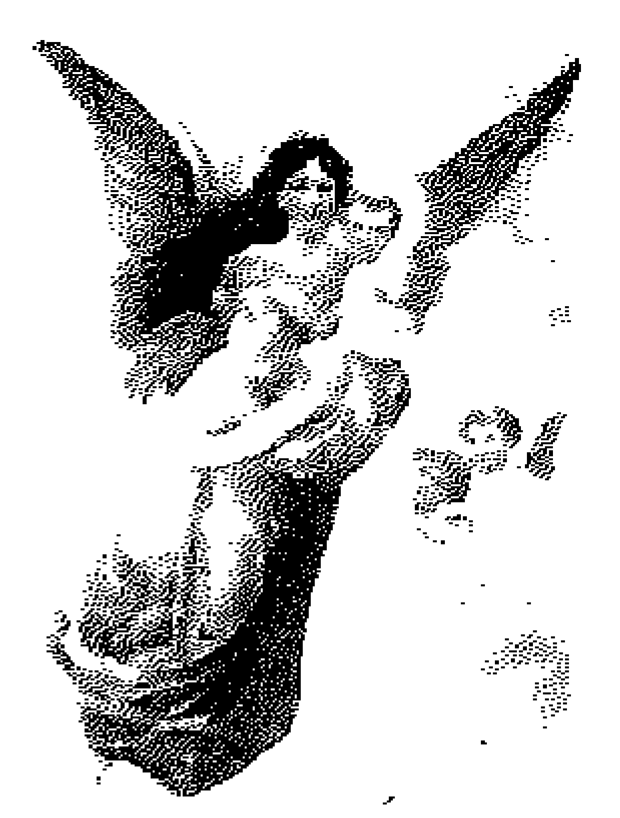
كان في عزلته يؤمن بعضويته الكنسية. لذلك عندما استدعى الأمر نزل إلى البابا أثناسيوس الرسولي، وبدخوله الإسكندرية ارتجت المدينة، وخرج الكل متهلّلين لأن رجل اللَّه قادم. وبالفعل عاد كثير من الأريوسيين إلى الكنيسة. مرة أخرى نزل إلى الإسكندرية يسند المعترفين في السجون ويرافقهم حتى ساحة الاستشهاد.

ثالثًا : مع محبته الشديدة للوحدة تلمذ القديس مقاريوس الكبير الذي أسس نظام الجماعات، كما فرح جدًا بأخبار باخوميوس مؤسس نظام الشركة ومدحه. هكذا لم يحمل روح التعصب لنظام معين!

رابعًا : عزلته لم تكن ضيقًا وتبرّمًا، لذا كان الكل يُدهشون لبشاشته وتهليله الداخلي، وقد اتسم بصحة جيدة حتى يوم نياحته، وكان قد بلغ المائة وخمسة عامًا.

خامسًا : قيل إنه كان أُميًّا لا يعرف القراءة والكتابة، لكنه كان يُفحم الفلاسفة اليونان ببساطة قلبه، وقد جذب بعضهم إلى الإيمان، وعندما سأله بعضهم كيف يتعزّى وسط الجبال بدون كتاب، قال لهم إن اللَّه يُعزّيه خلال العقل الذي يسبق الكتابة.

قيل أنه سُئل عن عبارة في سفر العبرانيين، فاتجه ببصره نحو البرية، ثم رفع صوته وقال: اللَّهم أرسل موسى النبي يفسر لي معنى هذه الآية، وفي الحال سُمع صوتًا يتحدث معه، وكما يقول الأب أمونيوس أنهم سمعوا الصوت ولم يفهموه.



أنبا بولا رئيس السواح

بعناية إلهية التقى القديس أنبا أنطونيوس أب الأسرة الرهبانية ومؤسسها في العالم، برئيس المتوحدين الذي سبقه بسنوات طويلة في حياة رهبانية خفية وسط البرية. يشتَم اللّه صلواته وتسابيحه رائحة سرور، فدعاه: "حبيبي بولا".

نشأته

ولد في مدينة الإسكندرية حوالي سنة ٢٢٨م. ولما توفى والده ترك له ولأخيه الأكبر بطرس ثروة طائلة، فأراد بطرس أن يغتصب النصيب الأكبر من الميراث. إذ اشتد بينهما الجدل، أراد القديس أنبا بولا أن يتوجه إلى القضاء. في الطريق رأى جنازة لأحد عظماء المدينة الأغنياء، فسأل نفسه إن كان هذا الغني قد أخذ معه شيئًا من أمور هذا العالم، فاستتفه هذه الحياة الزمنية والتهب قلبه بالميراث الأبدي، لذا عوض انطلاقه إلى القضاء خرج من المدينة، ودخل في قبر مهجور يقضي ثلاثة أيام بلياليها طالبًا الإرشاد الإلهي.

ظهر له ملاك يرشده إلى البرية الشرقية، حيث أقام بجبل نمرة القريب من ساحل البحر الأحمر. عاش أكثر من ٨٠ سنة لم يشاهد فيها وجه إنسانٍ، وكان ثوبه من ليف وسعف النخل، وكان الرب يعوله ويرسل له غرابًا بنصف خبزة كل يوم، كما كان يقتات من ثمار النخيل والأعشاب الجبلية أحيانًا، ويرتوي من عين ماء هناك.

ظن القديس أنبا أنطونيوس أنه أول من سكن البراري، فأرشده ملاك الرب بأن في البرية إنسانًا لا يستحق العالم وطأة قدميه؛ من أجل صلواته يرفع اللَّه عن العالم الجفاف ويهبه مطرًا.

إذ سمع القديس هذا الحديث السماوي انطلق بإرشاد اللَّه نحو مغارة القديس أنبا بولا حيث التقيا معًا، وقد ناداه أنبا بولا باسمه، وصارا يتحدثان بعظائم اللَّه. وعند الغروب جاء الغراب يحمل خبزة كاملة، فقال الأنبا بولا: **"الآن علمت أنك رجل اللَّه حيث لي أكثر من ٨٠ عامًا يأتيني الغراب بنصف خبزة، أما الآن فقد أتى بخبزة كاملة، وهكذا فقد أرسل اللَّه لك طعامك أيضًا."**

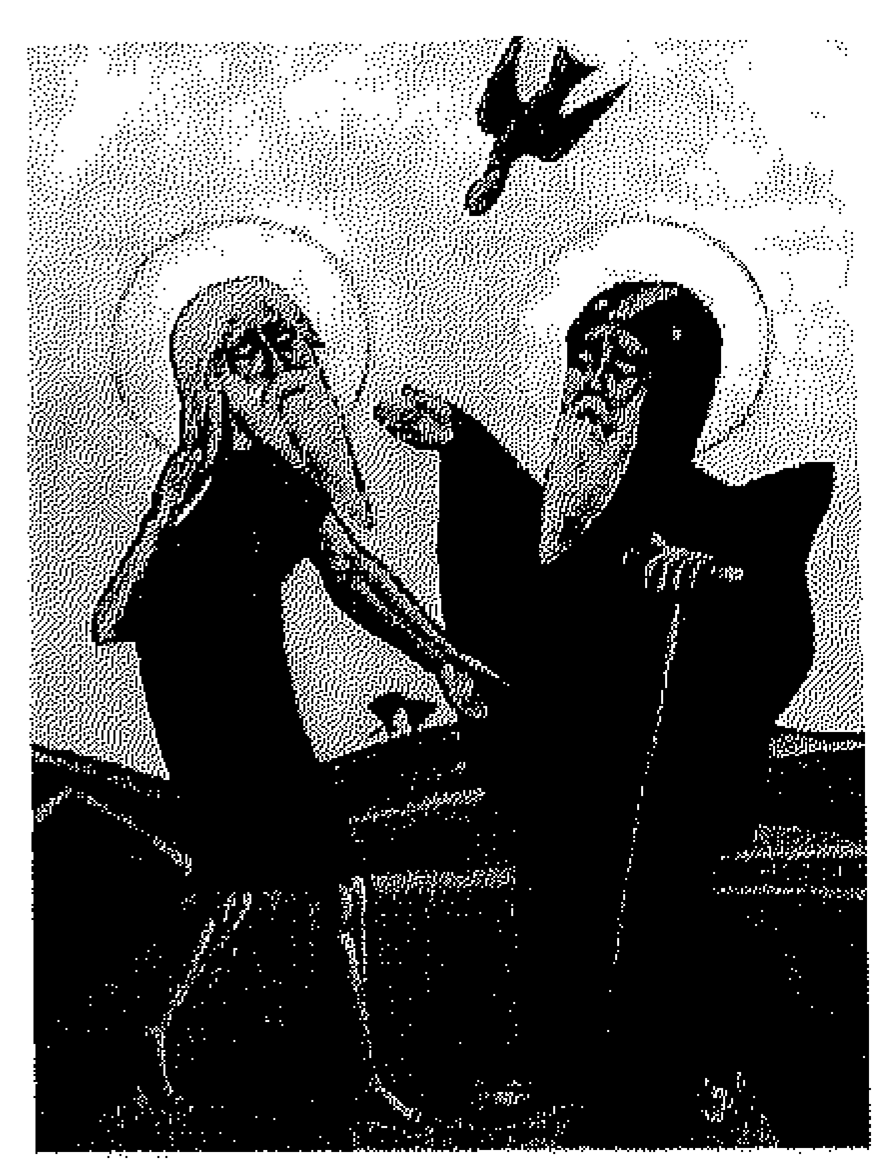
في نهاية الحديث طلب الأنبا بولا من الأنبا انطونيوس أن يُسرع ويحضر الحلة الكهنوتية التي للبابا أثناسيوس لأن وقت انحلاله قد قرب. رجع القديس أنبا انطونيوس وهو متأثر للغاية، وإذ أحضر الحلة وعاد متجهًا نحو مغارة الأنبا بولا رأى في الطريق جماعة من الملائكة تحمل روح القديس متجهة بها نحو الفردوس وهم يسبحون ويرتلون بفرحٍ.

بلغ الأنبا أنطونيوس المغارة فوجد الأنبا بولا جاثيًا على ركبتيه، وإذ ظن أنه يصلي انتظر طويلاً ثم اقترب منه فوجده قد تنيح، وكان ذلك في الثاني من أمشير (سنة ٣٤٣م). بكاه متأثرًا جدًا، وإذ صار يفكر كيف يدفنه أبصر أسدين قد جاءا نحوه، فأشار إليهما نحو الموضع المطلوب فحفرا حفرة ومضيا، ثم دفنه وهو يصلي.

حمل الأنبا انطونيوس ثوب الليف الذي كان يلبسه القديس وقدمه للأنبا أثناسيوس الذي فرح به جدًا، وكان يلبسه في أعياد الميلاد والغطاس والقيامة، وقد حدثت عجائب من هذا الثوب.

تحوّل الموضع الذي يعيش فيه القديس إلى دير يسكنه ملائكة أرضيون يكرسون كل حياتهم لحياة التسبيح المفرحة بالرب.

حاول البابا أثناسيوس أن يحضر جسده، لكن ظهر القديس للرسل وطلب منهم العودة إلى الإسكندرية لأنه يود أن يبقى جسده مخفيًا.



St. Anthony and St. Paul

مؤسس نظام الشركة:

القديس باخوميوس

إن كان القديس أنطونيوس الكبير يُعتبر أب الأسرة الرهبانية، بكونه أول قائد للحركة الرهبانية في العالم، تتلمذ على يديه متوحِّدون عاشوا في مغائر أو قلالي منفردة حوله، كما كان مرشدًا لعددٍ كبيرٍ من قادة الحركة الرهبانية في مصر وخارجها، فإن القديس باخوميوس يُعتبر أب الشركة في العبادة والسلوك.

نشأته

وُلد بالصعيد الأقصى من والدين وثنيين حوالي عام ٢٩٢م، وكان باخوميوس منذ طفولته محبًا للعفة والطهارة، غير راضٍ عن العبادة الوثنية، ولا يشترك في ولائمها.

أخذه والداه دفعة ليُقدما ذبيحة للشياطين التي في النهر، وإذ رآه كاهن الوثن صرخ: **"أقصوا عدوّ الآلهة من هنا حتى تكف عن غضبها علينا!"**، فحزن الوالدان جدًا.

في صبوته إذ حمل طعامًا للرعاة، بات في المساء هناك، وكان لأحدهما بنتان جميلتان، فجاءت إحداهما تطلب منه أن يضطجع معها، وأما هو فأجابها: "لا تدعيني ارتكب هذا الفعل الدنس! هل عيناي عينا كلب فأنام

مع أختي؟!" وإذ خلَّصه الرب من يديها، هرب مسرعًا إلى بيته.

قبوله المسيحية

تجنَّد باخوميوس في الجيش، وكان منطلقاً مع زملائه لاقماع ثورة ضد الإمبراطور. في الطريق استراحوا عند مدينة لاتوبوليس (إسنا) وكان الكل منهك القوى، فجاء أهل المدينة يقدمون لهم طعامًا وشرابًا بسخاءٍ وفرحٍ. سأل باخوميوس عن سبب هذا الكرم، فقيل له إنهم يفعلون هذا من أجل إله السماء، فهم محبّون للجميع. بعد صلاة طويلة قرر أن يصير مسيحيًا إن عاد سالمًا. وبتدبيرٍ إلهي خَمَدت الثورة وسُرِّح الجنود، فانطلق إلى شينوفسكيون (قصر الصياد) حيث سجَّل اسمه في قائمة الموعوظين، ونال العماد المقدس. بقي في القرية ثلاث سنوات يمارس أعمال المحبة والرحمة، خاصة عندما حلّ بها وباء، فكان لا يكف عن خدمة الجميع.

مع الأنبا بلامون

أحبت القرية كلها القديس باخوميوس، لكن قلبه كان يلتهب نحو التكريس للعبادة، وإذ سمع عن راهبٍ قديسٍ يسكن البرية بجوار القرية يدعى "بلامون" انطلق إليه، وسأله أن يقبله تلميذًا له. أظهر له القديس بلامون صعوبة الحياة الرهبانية، وطلب منه أن يرجع إلى القرية يجرّب نفسه بتداريب معينة، لكنه أمام ثبات قلب باخوميوس قبله، بل وأحبَّه جدًا، خاصة وأن باخوميوس قد اتسم بالطاعة مع النسك الشديد وحب العبادة.

تأسيس نظام الشركة

كان القديس باخوميوس متهللاً بحياة الوحدة، سعيدًا بعمل اللّه معه خلال أبيه الروحي أنبا بلامون، لكن قلبه كان متوجعًا من جهة إدراكه أن كثيرين يشتهون الحياة الرهبانية لكنهم عاجزين عن ممارسة حياة الوحدة

القاسية، فكان يطلب من أجلهم. وفي أحد الأيام إذ كان يجمع حطبًا في منطقة طبانسين (جنوب قصر الصياد)، ظهر له ملاك، وطلب منه أن يقيم ديرًا هناك، وأعطاه لوحًا به البنود الأساسية لنظام الشركة، وقد جاءت سهلة للغاية، يستطيع الكثيرون أن يمارسوها.

أخبر القديس باخوميوس معلِّمه الأنبا بلامون بما حدث، ففرح الأب جدًا وبارك العمل، وبالرغم من شيخوخته لم يعترض على إقامة نظام جديد للرهبنة لم يعهده، بل ذهب معه إلى طبانسين وساعده في تأسيس الدير، ثم استأذن منه ليعود إلى مغارته على أن يلتقيا مرة كل عام، تارة في الدير وأخرى في المغارة، وإن كان القديس بلامون لم يعشْ كثيرًا بعد ذلك.

أسس القديس باخوميوس أول دير له حوالي عام ٣١٨م في طبانسين بالقرب من بافو أو بابو. وقد أعطاه اللَّه نعمة في أعين الكثيرين حتى أنشأ في المنطقة حوالي عشرة أديرة، وكان عدد الرهبان في الدير الرئيسي ببافو وحده حوالي ١٥٠٠ راهبًا.

جاءه أخوه الأكبر يوحنا حيث ترهَّب عنده، وكان يعمل معه بكل طاقته في تأسيس هذا النظام، كما جاءته أخته فقابلها وشجَّعها على الحياة الرهبانية، وأسس لها ديرًا في الاتجاه المقابل من النيل، ضمَّ حوالي ٣٠٠ راهبة تحت قيادتها.

أهم ملامح هذا النظام

نال هذا النظام تقدير الكنيسة حتى من قادة نظام الوحدة، فقد امتدح القديس أنبا أنطونيوس القديس باخوميوس، وحسب نجاحه عطيَّة من اللَّه.

وقد حفظت سيرة القديس باخوميوس نظام الشركة في كثير من التفاصيل، إذ وصلت إلينا بأكثر من لغة ولهجة، كالقبطية البحيرية والصعيدية وأيضًا باليونانية الخ. أكتفي هنا بتقديم الخطوط العريضة

لملامح هذا النظام.

١. قام هذا النظام كحركة شعبية (علمانية)، لذا رفض القديس باخوميوس أن ينال درجة كهنوتية، وعندما شعر أن البابا أثناسيوس في زيارته له سيقوم بسيامته كاهنًا هرب، واضطر البابا أن يطمئنه قائلاً لأولاده أنه لن يمد يده عليه لسيامته وإنما يطلب بركته. وبالفعل عند عودة البابا من أسوان استقبله القديس بفرحٍ شديدٍ. قدَّم نفسه مثلاً حيًا للحياة الرهبانية كي لا يشتهي أحد درجة كهنوتية ويجد عدو الخير مجالاً لبث الغيرة بين الرهبان.

٢. اتَّسم النظام الباخومي أنه يناسب الكثيرين، فمن جهة الصوم يأكل الراهب مرتين كل يوم، ويمارس صلوات جماعية متكررة، كما يقوم بعملٍ يناسب مواهبه وقدراته مثل النجارة أو الفلاحة أو الطبخ أو الغزل أو البناء أو النسخ، ولكل جماعة رئيس يدير الأمور ماديًا وروحيًا، وكان العمل جزءًا أساسيًا من الحياة الروحية.

٣. انفتحت الأديرة لغير المصريين مثل اليونان والرومان، ولكل جماعة منهم رئيس يدبِّر حياتهم في الرب.

٤. سُمح للشخصيات البارزة المحبة للوحدة أن تُمارس هذه الحياة، وكان القديس باخوميوس كثيرًا ما يجتمع بالمتوحدين.

سمات القديس باخوميوس

تبقى شخصية القديس باخوميوس بارزة عبر العصور كشخصية قيادية عجيبة جمعت الآلاف في الأديرة المتقاربة والبعيدة بالصعيد، يدبِّر أمورها بروح الحب مع الحزم، مهتمًا في نفس الوقت بخلاص كل نفسٍ ونموِّها الروحي.

عُرف القديس بوادعته وتواضعه، فعندما سأله بعض الاخوة عن

أي منظر أو رؤيا قد أعجبته، أجاب أنه يُعجب بمنظر أخٍ وديعٍ إذ فيه يسكن اللَّه.

ظهر له الشيطان مرة على شكل السيد المسيح، وهو يقول: "افرح يا باخوميوس لأني جئت لافتقادك." أما هو ففي تواضع أعلن أنه يريد أن يرى السيد المسيح في الحياة الأبدية لا بالعين الجسدية هنا، وللحال صار الشيطان كدخَّان تلاشى.

مع حبه الشديد لأولاده ورقَّته في التعامل وطول أناته كان يتسم أيضًا بالحزم. جاء عنه إذ أراد افتقاد بعض الأديرة طلب من مدبر المائدة أن يهتم بالاخوة ويعد لهم طعامًا مطبوخًا، لكن الأخ لم يفعل ذلك. وعندما عاد القديس إلى الدير اشتكى له أحد الشباب الحديثين في الرهبنة أنه منذ فترة طويلة لم يُقدم لهم طعامًا مطبوخًا، فأجابه القديس أنه سيهتم بأمرهم بنفسه. استدعى الموكل بهذا العمل، وسأله عن أمر تدبير المائدة، فأجابه أنه طهى الطعام في البداية وكان الكل يمتنعون عن أكله زهدًا، لهذا توقف عن الطهي وشغل وقته في عمل سلالٍ. طلب منه القديس أن يحضر كل ما صنعه من سلال، وفي وسط كل الرهبان أمر بحرق السلال موضحًا لهم ضرورة الطاعة، كاشفًا لهم أنه كان من الأفضل أن يخسر الدير الطعام الذي يمتنع الرهبان عن أكله بإرادتهم عن أن يفقد الدير شخصًا واحداً يتعثر بسبب حرمانه من الطعام المطبوخ بغير إرادته.

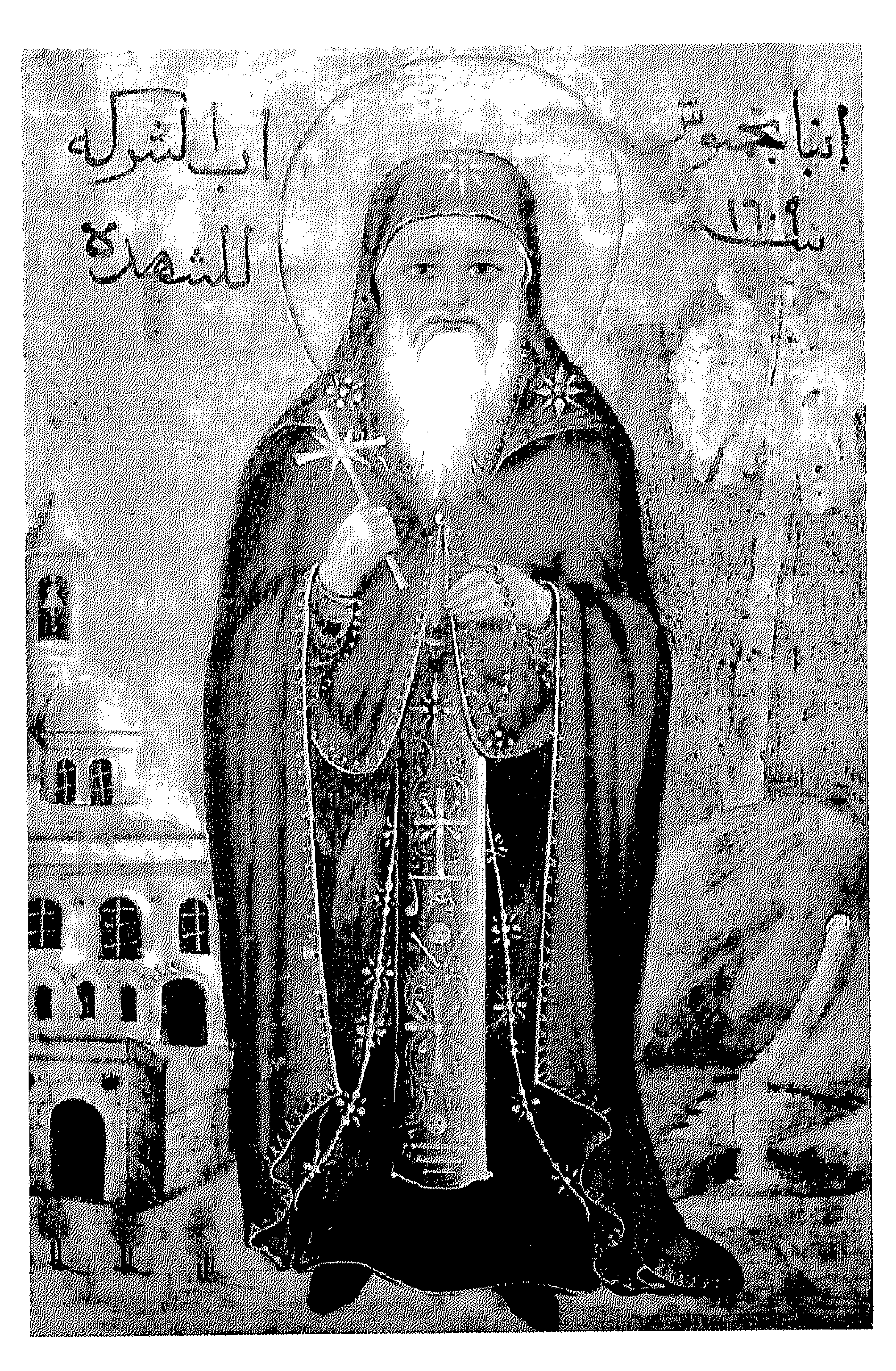
نياحته

انتشر وباء في صعيد مصر وأصيب كثير من الرهبان حيث تنيَّحوا، كما تنيَّح بسبب هذا الوباء القديس باخوميوس في عام ٣٤٨م.

أثره على العالم

نظام الشركة كما أسَّسه القديس باخوميوس جذب قلوب الكثيرين

من قادة الفكر الرهباني في الشرق والغرب، فقاموا بترجمته وتطبيقه عمليًا إن لم يكن في مُجمله ففي أغلبه. منهم القديس باسيليوس الكبير والقديس يوحنا كاسيان والأب قيصريوس أسقف أرل **Arles** وخلفه أوريليوس، والأب بندكت الذي وضع نظامه المشهور كأب للرهبنة الغربية، مقتبسًا الكثير من النظام الباخومي.



الأنبا شنودة
رئيس المتوحدين

يُعتبر أهم شخصية تمثل رهبنة الشركة في مصر بعد القديس باخوميوس. دُعي "أرشمندريت" أي رئيس المتوحدين، لأنه كان يمارس حياة الوحدة من حين إلي آخر. لقد شجع بعض رهبانه علي الانسحاب إلي البرية بعد سنوات قليلة من ممارستهم حياة الشركة، دون قطع علاقتهم بالدير تمامًا. بينما رأي القديس باخوميوس في "الشركة" ذُروة السموّ الرهباني، أما القديس شنودة فيراها مرحلة انتقالية تُعد النفوس الناضجة لحياة المتوحدين الأكثر نسكًا.

كان رئيسًا للدير الأبيض في صحراء طيبة، لأكثر من ٥٦ عامًا (القرن الرابع/الخامس). قاد حوالي ٢٢٠٠ راهبًا و١٨٠٠ راهبة، كما أخبرنا تلميذه وخلفه القديس ويصا.

في سنة ٤٣١م رافق القديس الأنبا شنودة القديس كيرلس الكبير في مجمع أفسس المسكوني.

كان جميع رهبانه من الأقباط الأصليين. لهذا عزف كثير من الأوربيين ذكر اسمه في الفترة الخاصة بآباء البرية، كما لم يترجموا شيئًا من أعماله علي مدي قرون طويلة.

"شنودة" هو الشكل الصعيدي لاسم رئيس المتوحدين الذي عاش في الصعيد. لم يستعمل غير اللَّهجة الصعيدية في كتاباته وخطبه وحديثه اليومي، أما الشكل البحيري لاسمه فهو شنوتي ومعناها خادم اللَّه أو المكرّس للَّه.

وُلد شنودة من أبوين مسيحيين تقيين، ربّيا ابنهما على المبادئ المسيحية المُثلى، وكان لوالده حقل يشتغل فيه مع فلاحيه، كذلك كان يملك قطعانًا من الغنم. رأى أن يدرّب ابنه على العمل منذ حداثته، فأرسل شنودة ليرعى الغنم وهو لم يتجاوز العاشرة من عمره. وكان الصبي يُلازم الرعاة طيلة النهار ويعطيهم طعامه الخاص بدلاً من أن يأكله، وعند غروب الشمس بدلاً من أن يعود لأبويه مباشرة، كان يقف إلى جانب بئر ويصلي حتى ساعة متأخرة من الليل.

مع خاله بيجول

إذ علم والده بمسلكه هذا استصحبه إلى خاله الراهب المعروف الأنبا بيجول، ولما وصل الاثنان إلى الدير قال له والد شنودة: "بارك يا أبي هذا الصبي"، ولكن الأنبا بيجول أخذ يد شنودة ووضعها على رأسه قائلاً: "أنا الذي يجب أن ينال البركة من هذا الصبي لأنه إناء مختار للسيد المسيح، الذي سيخدمه بأمانة كل أيام حياته". فلما سمع والد شنودة هذه الكلمات تطاير قلبه فرحًا واستودع الولد خاله، فنشأ شنودة منذ صباه في دير خاله، ومنه اقتبس كل الفضائل المسيحية.

ظلّ شنودة يجاهد في سبيل الكمال الروحي بالصوم والصلاة والصبر والتواضع، وكان نشيطًا يؤدي جميع الواجبات الرهبانية المفروضة عليه بهمة نادرة، وكان خاله يرقبه باهتمام زائد ويفرح لنموه السريع في العلم والفضيلة. وازداد فرحه بسبب ما رآه في رؤى الليل، فقد سمع ملاك

الرب يقول له: "البس الراهب الشاب شنودة الإسكيم المقدس"، فقام في الصبح باكرًا جدًا وصلى صلاة الإسكيم المقدس ومنطقه به.

وخلال هذه السنوات عاش شنودة في الدير الأحمر حيث كان خاله أبًا للرهبان، ولما رأى شنودة أنه نال كرامة الإسكيم ضاعف جهوده وأمعن في دراسة الأسفار الإلهية، ولم يقتصر على دراستها لنفسه بل أخذ يُعلّمها للرهبان والمدنيين الذين كانوا يفدون على الدير لوفاء ما عليهم من نذور، فكان يجمعهم حوله ويُعلّمهم مثبّتًا إياهم على الإيمان الأرثونكسي.

الأرشمندريت

في أحد الأيام سمع الرهبان الشيوخ صوتًا يقول: "لقد أصبح شنودة أرشيمندريت" (أي رئيسًا للمتوحدين)، وكانت غيرة شنودة المتقدة وقداسته الفائقة والاستعلانات الإلهية العديدة التي منحها له الآب السماوي سببًا في اجتذاب عدد وفير من الناس إليه، جاءوا ليعيشوا معه تحت رعايته وليتعلموا منه الفضائل المسيحية. **فلما انتقل الأنبا بيجول إلى كنيسة الأبكار انتخبوا شنودة خلفًا له.**

نظامه الرهباني

مع أن الأنبا شنودة اتبع نظام الرهبنة السائد في مصر إلا أنه وضع خطة يسير عليها رهبانه، بها بعض الاختلافات تتعلق بنظام طالبي الرهبنة، ونظام الإدارة، وقانون العبادة، والاهتمام بالتعليم والعمل اليدوي، ونظام العزلة جامعًا بذلك بين الرهبنة الأنطونية والرهبنة الباخومية.

يختلف نظام الشركة الذي أقامه القديس شنودة عن النظام الباخومي، فقد اتسم بحزم أشد، وتتلخص خطوطه الرئيسية في النقاط التالية:

١. يقضي طالب الرهبنة فترة اختبار في بيوت خارج أسوار الدير

وليس داخلها كما في النظام الباخومي. ويكتب طالب الرهبنة تعهدًا يوقع عليه قبل رهبنته، ويتلوه أمام الاخوة داخل الكنيسة، ويحفظ هذا التعهد في أرشيف الدير.

٢. كان كل دير يديره أب، هذا بدوره يخضع للأرشمندريت كأب لكل الأديرة. وتقام أربعة اجتماعات عامة لكل الرهبان سنويًا، يحضرها أيضًا المتوحدون، وذلك لمناقشة أوضاع هذه الأديرة.

٣. من جهة العبادة، تتلو كل جماعة من الرهبان صلوات قصيرة قبل البدء في أعمالهم. وتتكون الصلوات الخاصة من المزامير والتسابيح الكنسية، تُتلي في القلالي بإرشاد الأب الروحي، أما الصلوات الجماعية فيجتمع الرهبان أربع مرات لهذا الغرض: في الصباح وعند الظهر وعند الغروب وبالليل. يجتمعون وينصرفون في هدوء كامل، لا يفكرون إلا في الصلوات التي يتلونها.

بجانب هذه الصلوات تقام ليتورجيا الافخارستيا أسبوعيًا. كان يُسمح للعائلات وكل الشعب المحيط بالأديرة أن يزوروا الأديرة في السبوت للتمتع بخدمة "العشية" وسماع العظة، كما يشتركون في القداس الإلهي مع الرهبان في أيام الآحاد. وكان الرهبان يقدمون الطعام للجماهير، وكان القديس أنبا شنودة يعظهم بنفسه.

أنشأ مدرستين في الدير الأبيض، وشجع الرهبان علي التعلم، إذ آمن أن التعليم هو السلاح الفعال ضد العادات الوثنية، كما شعر بالمسئولية نحو تأسيس مدارس في القرى المجاورة.

عاش الأنبا شنودة في عصر يتأجج بنيران الأحداث: ففيه انعقدت ثلاثة مجامع هي مجمع أفسس المسكوني الثالث، الذي حضره مصاحبًا للبابا كيرلس عمود الدين، ومجمع أفسس الثاني ومجمع خلقيدونية الذي شق

الكنيسة المقدسة، وفيه أيضًا زالت الوثنية نهائيًا، بعد أن حاول الإمبراطور يوليانوس الجاحد عبثًا أن يعيدها إلى الوجود، وفيه أيضًا تحققت القومية المصرية، إذ وقف المصريون جميعًا كتلة واحدة ضد الملكية الدخيلة ولم يرضوا بها حتى عندما اصطبغت بالصبغة الدينية.

قائد كنسي سياسي (ضد الاستعمار البيزنطي)

مع أن القديس الأنبا شنودة كان شغوفًا بالعُزلة منذ صباه إلا أنه شاطر العالم حياته، إذ كان يرقب الأحداث والتقلبات السياسية بدقة واهتمام، مدركًا أن التلميذ المخلص للمسيح هو من يوصل رسالته إلى غيره من بني الإنسان. وحين جال ببصره حوله رأى بني قومه يرزحون تحت أثقال من العبودية المرة: عبودية الأوهام ومخاوف توحيها إليهم الوثنية، وعبودية للحكام البيزنطيين الذين كانوا يمتصون دماء الشعب الكادح ويسلبهم عرق جباههم، صمم على أن يكرّس لتحريرهم. بدأ بتحريرهم من مخاوفهم بأن بيّن لهم أن العناية الإلهية تقيهم كل أذى، وقرن تعليمه بالعمل، فكان يُطعم الجائع، ويكسو العريان، ويداوي المريض، ويأوي الغريب. وفوق هذا كله فقد كان يذهب بنفسه مع المظلوم من المصريين إلى ساحة القضاء ليترافع عنه شخصيًا، فإن لم يفلح في إقرار العدالة توجه بالشكوى إلى الإمبراطور رأسًا، ولم يهدأ له بال حتى ينال المظلوم حقّه.

في اجتماع عام أثار الجمهور بقوله: [قلوب الحكام المملوءة شرًا وخداعًا وظلمًا وطمعًا. لهم هدف واحد هو جمع المال علي حساب الفقراء الذين هم الضحية. من يقدر أن يحصي الأتعاب التي يلاقيها الشعب من هؤلاء الحكام؟ فإنني أعرف بعضًا لم يجدوا طعامًا ليأكلوا هم وحيواناتهم. أظن أنهم يريدون أن يقيموا من المصريين عبيدًا لهم، يضعون النير علي أكتافهم.]

لما كان اللَّه قد حباه المقدرة على الكتابة والخطابة فقد استخدم هذه الموهبة ليستثير روح القومية في الشعب، فكان لا يخاطب الجماهير إلا باللغة القبطية بلهجتها الصعيدية، وبهذا اللسان المصري الصميم ألهب صدورهم حماسة، وأيقظ وعيهم القومي وجعلهم يدركون ما في مصريتهم من كرامة. وكانت هذه النار التي أوقدها الأنبا شنودة هي القوة الدافعة، التي مكّنت المصريين من أن يقفوا أمام وجه حكامهم المستعمرين، تلك الوقفة الحاسمة في مجمع خلقيدونية المشئوم، حيث رفضوا أن يحنوا هامتهم للإمبراطور مركيان، حين زعم أنه يستطيع أن يفرض عليهم مذهبه الخلقيدوني، الذي يخالف عقيدتهم الأرثوذكسية التي تعلموها من آبائهم.

مُصلح اجتماعي روحي

ترتبط العبادة عند القديس شنودة بالحياة الاجتماعية. فالدين هو حب عملي وتقوي. لهذا لم ينعزل القديس شنودة ورهبانه الآلاف عن المجتمع المصري. نذكر علي سبيل المثال عندما أغار الغزاة علي صعيد مصر وسبوا الآلاف من الشعب، قابل الغزاة وأقنعهم أن يأخذوا الغنائم ويتركوا النفوس. ثم فتح ديره للمسببين البالغين آلافًا من النفوس ليستقروا هناك لمدة ثلاثة شهور. كرّس الرهبان وقتهم لخدمتهم. وقام سبعة من الأطباء الرهبان بتضميد الجروح. خلال هذه الفترة مات ٩٤ شخصًا دُفنوا بالدير، بينما وُلد بالدير ٥٢ طفلاً. أكلت الجماهير ٨٥٠٠ أردبًا من القمح مع كميات ضخمة من العدس والزيت والفول... بهذا يمكننا أن نتصور عدد الضيوف الذين عاشوا في الدير هذه المدة الطويلة. وكيف آمن الرهبان بالحب العملي كأهم من أي قانون أو تدبير رهباني.

اهتمامه بالراهبات

لم يكن الأنبا شنودة أبًا للعديد من الرهبان فحسب، بل كان أبًا لألف

وثمانمائة راهبة أيضًا، وقد كتب لهؤلاء الراهبات رسائل عديدة الغرض، منها تعليمهن وإرشادهن وتثبيتهن على الإيمان القويم. ومع أنه كان أبًا لهذا العدد الوفير من الرهبان والراهبات إلا أنه ظل يمارس حياة العزلة باستمرار، ولذلك تأهّل لأن ينال لقب "رئيس المتوحدين"، فكان يقضي بعضًا من الوقت في كل سنة منقطعًا بمفرده، ولم يكن أحد يجرؤ على الاقتراب منه أثناء هذه العزلة.

قد عاش الأنبا شنودة حتى بلغ الثامنة عشرة بعد المائة، قضى ستة وستين عامًا منها رئيسًا لبضعة أديرة، بعضها للرهبان وبعضها للراهبات، وقد منحه اللَّه مع هذا العمر الطويل الصحة والعافية، فظل طيلة حياته يعمل بلا هوادة منذ أن تسلم قيادة الدير الأحمر عن خاله الأنبا بيجول، كما نجح بجهاده المتواصل وهمته في أن يثبت نظام أديرته، وأن يسلم الشعلة وهّاجة إلى تلميذه ويصا، كذلك نجح نجاحًا باهرًا في أن يوقظ في مواطنيه عاطفتهم نحو بلادهم[1].



[1] القمص تادرس يعقوب ملطي، الكنيسة القبطية الأرثوذكسية كنيسة علم.

مسيحنا المصلوب

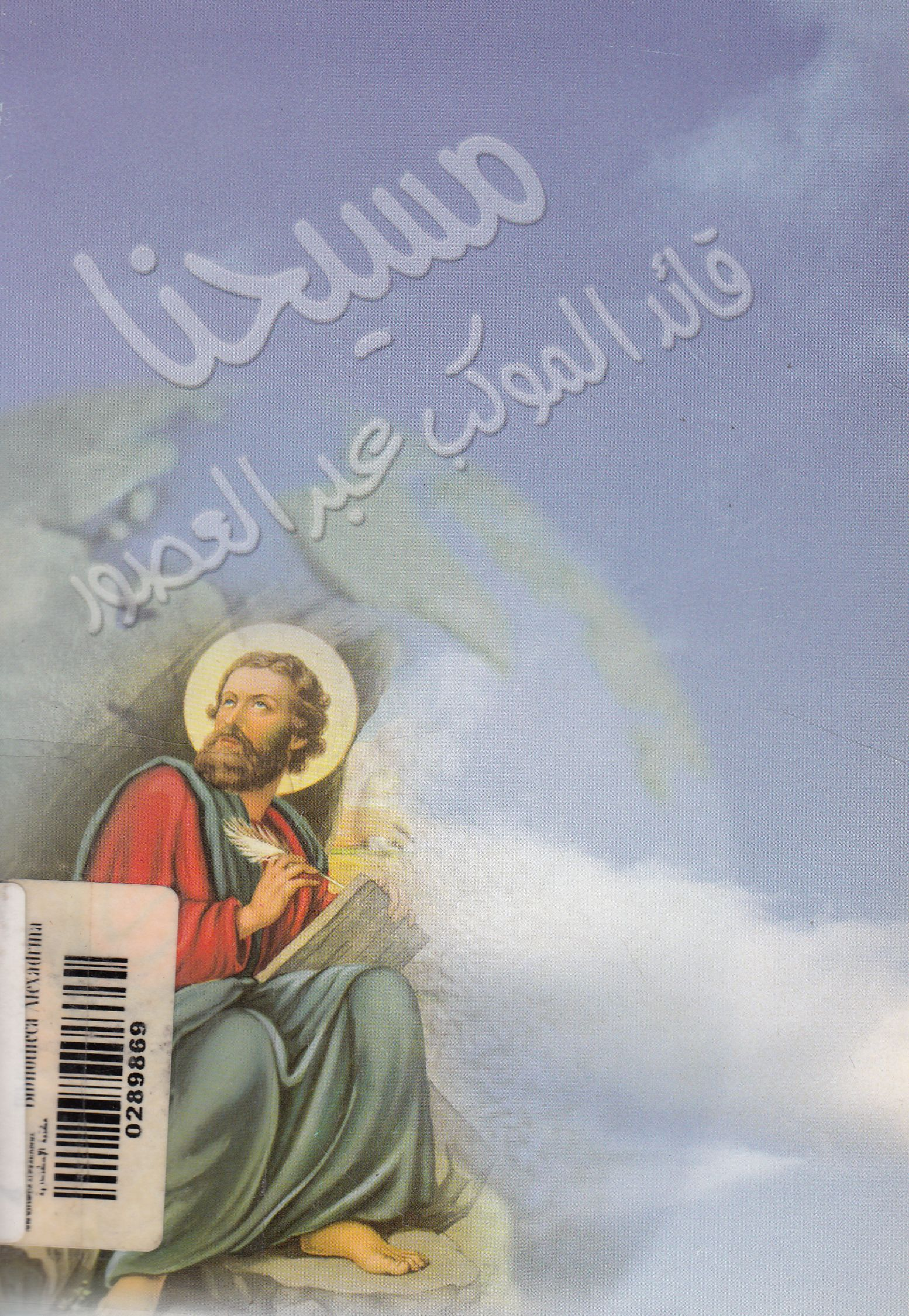
قائد موكب القرن الثالث

مسيحنا الأمين

قائد موكب القرن الرابع



بعض الأيقونات الواردة بالكتاب قدمها لنا مشكورًا القمص أنطونيوس حنين راعي كنيسة السيدة العذراء بباسادينا، كاليفورنيا.


مسيحنا
قائد الموكب عبر العصور
Bibliotheca Alexandrina
02289869